التغيرات الحضارية في مدينة بيت المقدس
من خلال كتب الرحلات الأوروبية والمدونات الصليبية
٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م

د. فؤاد عبد الرحيم حسن الدويكات
جامعة طيبة-المملكة العربية السعودية

ملخّص:

وفد إلى بيت المقدس عدد من الرحالة الأوروبيين حجاجاً، وقد سجل هؤلاء الرحالة جانبا من مشاهداتهم عن المدينة ، ولما كان معظمهم من رجال الدين فقد غلب على ما سجلوه الجانب الروحي، والاهتمام بوصف الآثار والأماكن المسيحية والطرق المؤدية اليها٠

وهذه الدراسة تتمحور حول مدينة بيت المقدس في العصر الصليبي من خلال كتب الرحلات الأوروبية إلى بيت المقدس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، للوقوف على أوضاع المدينة خلال فترة الاحتلال الصليبي٠

وسنحاول من خلال دراسة هذه المصادر وتحليل ما ورد فيها من معلومات رصد التغيرات الحضارية التي تعرضت لها المدينة في ظل السيطرة الصليبية، فقد نجحت المملكة الصليبية بتحويل مدينة بيت المقدس خلال عدة عقود من مدينة إسلامية خالصة إلى مدينة صليبية المظهر، من هنا تجيء أهمية هذه المصادر لكونها تناولت بالوصف التحولات التي أدخلها الغزاة على المدينة، فقد كان هؤلاء الرحالة أحيانا شهود عيان لتغيرات حدثت بالمدينة أثناء وجودهم بها وبالتالي فقد أشاروا لذلك في رحلاتهم. وسنعمد إلى تدقيق معلومات هؤلاء الرحالة من خلال مقارنتها بما ورد في المصادر الجغرافية وكتب الرحلات الإسلامية المعاصرة في محاولة للوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر الإمكان٠

المقدمة:

ما أن زحفت جيوش الحملة الصليبية الأولى على فلسطين، وبسطت سيطرتها على بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م حتى أتت أعداد كبيرة من الأوروبيين حجاجا لبيت المقدس، فقد أصبحوا يفدون بلاداً يحكمها قوم منهم. وأولت المملكة الصليبية الحجاج أهمية كبيرة للظهور بمظهر المدافع عن المقدسات المسيحية أمام العالم المسيحي في كافة أنحاء العالم. وعملت على تيسير إقامتهم وحمايتهم ورعاية شؤونهم، فتزايدت أعدادهم في العصر

الصليبي تزايدا ملحوظا[١]، وتدفق الدعم المادي والمعنوي الأوروبي على الكيان الصليبي باعتباره القائم على حماية المقدسات المسيحية في مواجهة الأعداء[٢].

لقد وصلنا الكثير عن رحالة القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. إذ يزيد عدد الكتب التي بين أيدينا على الثلاثين فضلاً عن الرسائل العديدة والمذكرات التي حفظتها لنا كتب التاريخ[٣]. وكانت تلك الرحلات موضوعا للعديد من الدراسات التي تناولتها بالبحث والتحليل، فظهرت مقالة عن رحلة الأب دانيال الروسي في مجلة المشرق(١٩٢٦) للمستشرق يوغوليوبنسكي، كذلك تناول د. نقولا زيادة عددا من تلك الرحلات في كتابه"رواد الشرق العربي في العصور الوسطى"(١٩٤٣) وتعد دراسة د. محمد مؤنس"الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية"(١٩٩٢) من أهم الدراسات التي تناولت الرحلات الأوروبية، من هنا جاءت الرغبة في الاستزادة من البحث والدراسة حول هذا الموضوع نظراً لخطورة المرحلة وأهميتها في التاريخ الإسلامي، وقد حدتني الرغبة في دراسة هذه الحقبة علَني أضيف جديداً، أو أوضح بعض النواحي الغامضة

ويستهدف الباحث من خلال دراسة هذه الرحلات رصد التغيرات التي أحدثها اللاتين في المدينة في ظل الاحتلال الصليبي، إذ يمكننا اعتبار فترة السيطرة الصليبية على بيت المقدس من الفترات المهمة في تاريخ المدينة، فإن اللاتين أحدثوا تحولا داخليا كبيرا بحيث تحولت المدينة إلى مدينة صليبية، وشملت التغيرات التي أجروها كل ميادين الحياة تقريبا لدرجة أن المدينة فقدت هويتها الإسلامية وأصبحت مدينة فرنجية الملامح والعمران إلى حد ما.

---

[١] أثناء استعداد الرحالة المسلم ابن جبير لمغادرة ميناء عكا شاهد قافلة ضخمة من حجاج الفرنج تهم بركوب السفينة لمغادرة الميناء وذكر بأنه، "صعده (أي المركب) من النصارى المعروفين بالبلغريين، وهم حجاج بيت المقدس، عالم لا يحصى ينتهي إلى أزيد من ألفي إنسان" وجاء في مقدمة د. محمد مصطفى زيادة على الرحلة. أن لفظة البلغريين، تعريب حرفي للكلمة اللاتينية (*Peregrini*) بمعنى حجاج. انظر، ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٢١٦ وانظر مقدمة الرحلة، ص١٥. وهذا يشير إلى تضخم أعداد الحجاج إلى فلسطين في هذه الحقبة.

[٢] محمد مؤنس، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٧.

[٣] نقولا زيادة، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، هدية مجلة المقتطف، القدس، ١٩٤٣م، ص٨١، ولمزيد من التفاصيل عن كتب الرحلات إلى فلسطين في هذا العصر انظر، محمد مؤنس، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦، ص٤١-٤٥، جان سوفاجيه، كلود كاهن، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢٦٥-٢٦٦.

رحلة سايولف Seawulf ٤٩٦هـ/١١٠٢م:

يأتي في مقدمة الرحلات الأوروبية إلى بيت المقدس في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي رحلة الرحالة الأوروبي سايولف Seawulf، وكانت مدينة يافا أول أرض فلسطينية وطئتها أقدامه، فقد وصل إلى ميناء يافا في تشرين أول ١١٠٢م / ٤٩٦هـ ومنها انتقل إلى بيت المقدس، وتكتسب هذه الرحلة أهميتها لكونها جاءت في بداية الاستقرار الصليبي في فلسطين والاستيلاء على بيت المقدس فقد مضى على استقرارهم في فلسطين نحو ثلاث سنوات وثمانية أشهر.

اهتم سايولف في تسجيل أخبار رحلته ومشاهداته بالجانب الروحي، لذلك فإن عنايته بالمزارات والكنائس والأديرة المسيحية فاق كل اهتمام، وعليه فإن رحلته لا تعدو كونها جدولاً بأسماء الأماكن المقدسة التي زارها في بيت المقدس، مع إغفال التطورات المعاصرة التي شهدتها المدينة. ومع ذلك لا نعدم الجوانب الهامة التي تناولها سايولف في رحلته ومنها:

حديثه عن اشتعال حركة المقاومة الشعبية الإسلامية في فلسطين ضد الغزاة يتضح هذا بجلاء في وصفه لوعورة الطريق وخطورتها من يافا إلى بيت المقدس إذ قطعه خلال رحلة امتدت يومين، أما الوعورة فلكونها جبلية، وأما خطورتها فتأتي من مرابطة المسلمين في الطريق ونصب الكمائن للمسيحيين حتى أنه شاهد الكثير من الجثث ممزقة وغير مدفونة وملقاة على جانب الطريق بفعل عمليات المقاومة ضد الغزاة[٤] هذا الوصف الذي قدمه سايولف ألقى الضوء على المصاعب التي واجهها الحجاج من أجل الوصول إلى الأماكن المسيحية المقدسة ، وكشف لنا أن عنف المقاومة دفعت الصليبيين إلى تجنب دفن قتلاهم خوفا من المسلمين ، ولما كانت المصادر الإسلامية المعاصرة قد التزمت الصمت حيال ما قامت به حركة المقاومة الشعبية داخل فلسطين ، فإن ما أورده سايولف على جانب كبير من الأهمية باعتباره أول رحالة أوروبي سجل فعاليات حركة المقاومة الشعبية الإسلامية ضد الوجود الصليبي داخل فلسطين.

أما بخصوص الكنائس والأديرة التي زارها فقد جاءت أوصافه في غاية الأهمية، إذ قدم وصفاً دقيقاً لكنيسة القيامة في بيت المقدس فذكر بأن القبر المقدس يوجد وسط الكنيسة وهو محاط بجدار بالغ المنعة والقوة، ومغطى خشية هطول الأمطار عليه على نحو يلحق به

---

(٤) Seawulf, *The Pilgrimage of Seawulf to Jerusalem and the Holy Land*, in P.P.T-S,VoL IV,(London 1896) p. 8. للمزيد من التفاصيل عن حركة المقاومة الشعبية ضد الوجود الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية. انظر، سعيد البيشاوي:المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد١٥، نابلس،٢٠٠٠

الضرر، إذ أن الكنيسة شيدت دون أن يكون لها سطح يقيها شر ذلك[٥] ورغم أهمية وصف سايولف لهذه الكنيسة إلا أنها دون الوصف الذي تركه لنا الرحالة المسلم ناصر خسرو الذي زار بيت المقدس سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م وكانت كتاباته من أواخر الكتابات الإسلامية عن بيت المقدس قبل الغزو الصليبي لها: "فأشار إلى تعظيم النصارى لها غاية التعظيم وإنها بناء بالغ السعة والكبر حتى أن ثمانية آلاف شخص يستطيعون أداء الصلاة فيها في وقت واحد، وإنها آية في الروعة المعمارية تزينها الأساطين المرمرية العملاقة... وقد فرشت من الداخل بالبسط الرومية الحريرية، واحتشدت بصور القديسين والقديسات، وتقيم فيها أعداد هائلة من القساوسة والرهبان بصفة دائمة[٦]. وإذا ما قارنا بين وصف سايولف وناصر خسرو لكنيسة القيامة فإنهما يعطيان معا فكرة واضحة عن الكنيسة قبل أن يمسها الصليبيون بأية تغيرات.

عمدت السلطات الصليبية شأنها شأن كل قوى الاحتلال لإجراء تغييرات في أسماء مواقع المدينة وطبوغرافيتها، بل عمدت إلى تغيير نمط حياة المدينة اقتصاديا واجتماعيا وسكانيا، ولذلك جاء تناول سايولف للمقدسات الإسلامية بعد أن تم تحويلها إلى كنائس، فأشار إلى المسجد الأقصى بأنه معبد الرب[٧] وهذه الرواية المبكرة تؤكد حقيقة الممارسات التي قامت بها المملكة الصليبية لطمس هوية المدينة وتغيير معالمها من خلال القضاء على مساجدها وتحويلها إلى كنائس. وفي سياق حديثه عن المسجد الأقصى حدد موقعه بأنه في الجانب الشرقي للضريح المقدس وتتسم مساحته بطولها العظيم واتساعها الرحب، وله بوابات كثيرة (لعله يقصد منطقة المسجد الأقصى المبارك بأسرها) [٨] لكن البوابة الرئيسة تواجه المعبد وتسمى الجميلة بسبب مميزات صناعتها وتعدد الألوان فيها[٩] ويضيف بأنه كان مزين

---

(٥) Seawulf, op. cit., p. 9.

(٦) ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة احمد خالد، الرياض،١٩٨٢، ص٨٠ وانظر أوصافها أيضا لدى الرحالة المسلم الإدريسي الذي زار بيت المقدس أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١/ ٣٥٨-٣٥٩.

(٧) Seawulf, op. cit., p. 15.

(٨) Seawulf, op. cit., p. 15 . وتبلغ مساحة المسجد الأقصى المبارك (١٤١) دونماً، ويقع شرقي مدينة القدس، (ويغطي المسجد حوالي سدس مساحة المدينة المسورة). انظر، محمد سلامة النحال، فلسطين أرض وتاريخ، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٤، ص٢٠٠؛ محمد احمد اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، ١٩٩٩، ٢/ ٤٤٠.

(٩) Seawulf, op. cit., p. 15 . والبوابة الجميلة من بوابات المسجد الأقصى المبارك وتقع في الحائط الشرقي من المسجد تحت مستوى سطح الصخرة المشرفة، وقد أطلق عليها اليونان هذا الاسم ولا يعرف على

بالزخارف بشكل جميل، ويبدو من ارتفاعه أنه يستوي مع جميع التلال حوله، وكان يفوق جميع المباني من حيث الشهرة والبريق، وكان يرى وسط هذا المعبد صخرة كبيرة مرتفعة ومجوفة من الأسفل وعليها كانت قدس الأقداس[١٠] وفي الجزء الشرقي من المعبد توجد بوابة المدينة التي تدعى البوابة الذهبية[١١] وتتضح قيمة هذه الرواية لكونها أول وصف للمسجد الأقصى في القرن السادس الهجري من جانب رحالة أوروبي زار بيت المقدس بعد خضوعها للسيطرة الصليبية.

لم يقف الرحالة سايولف عند وصف المعالم الدينية للمدينة، فقد سجل لنا من ذلك الوقت معلومات مختصرة في غاية الأهمية، إذ انفرد بالحديث عن البدايات المبكرة لهيئة فرسان الاسبتارية وذلك بوصفه المستشفى المخصص ليوحنا المعمدان، فبعد تناوله لكنيسة مريم أشار إلى مستشفى يوحنا المعمدان[١٢] جدير بالذكر أن تأسيس المستشفيات في بيت المقدس لم يكن وليد الحقبة التي زار فيها سايولف المدينة، فقد انفرد الرحالة الفارسي ناصر

وجه التحديد متى بنيت هذه البوابة. انظر، محمد هاشم غوشه، بوابات القدس، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٢، ص١٢٩.

(١٠) Seawulf, op. cit., p. 16. ويقصد الرحالة بقدس الأقداس قبة الصخرة في ساحة المسجد الأقصى المبارك.

(١١) Seawulf, op. cit., p. 17. ويُفهم من النص أن البوابة الذهبية هي إحدى بوابات المسجد الأقصى المبارك، ولعل المقصود به "الباب الذهبي" الذي يقع في الحائط الشرقي للمسجد وينخفض عن مستوى الصخرة المشرفة وعلى بعد ٢٠٠ متر جنوب باب الأسباط، ويرد وصف هذه البوابة بالتفصيل لدى الرحالة المسلم ناصر خسرو، انظر. سفرنامه، ص٥٨. أما الرحالة الإدريسي ففي معرض وصفه للمسجد الأقصى يذكر ما نصه "وتخرج من هذا المسجد أيضا مشرقاً فتصل إلى باب الرحمة المغلوق، وبالقرب من هذا الباب باب آخر مفتوح يعرف بباب الأسباط عليه الدخول والخروج. انظر، نزهة المشتاق، ٣٦١/١. ومن المعروف أن في القدس بوابتين باسم (الأسباط)، الأولى هي المذكورة في نص الإدريسي ويعني بها باب الأسباط، أحد أبواب المسجد الأقصى المبارك، والثانية هي بوابة الأسباط التي تقع في سور المدينة في الجهة الشمالية الشرقية.

(١٢) Seawulf, op. cit., p. 14. أما مستشفى القديس يوحنا فيرجع تأسيسه في القدس إلى تجار مدينة أمالفي الإيطالية الذين اتفقوا مع السلطات الفاطمية على تأسيسه عام ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م، وقبل السيطرة الصليبية على المدينة كان يدار من قبل الأديرة البندكتية وبعد السيطرة عليها استقل عنها وشكل نواة هيئة الفرسان الاسبتارية، وتناول سايولف لهذا المستشفى في هذه الحقبة المبكرة على هذا النحو تشير إلى تواضع الدور الذي نهض به في خدمة الكيان الصليبي في بيت المقدس. عنه انظر، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٤، ٣/ ٣٩٠-٣٩٢؛ شفيق جاسر، القدس تحت الحكم الصليبي، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٠٣؛ محمد مؤنس، الحروب الصليبية دراسات تاريخية نقدية، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩، ص١٢٤-١٢٥.

خسرو بالإشارة إلى أنه كان في بيت المقدس في العهد الفاطمي مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة، ويصرف لمرضاه العديدين العلاج والدواء، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذا المستشفى[١٣]، عموما تبقى هذه الإشارة هي الأولى من نوعها في كتب الرحلات الأوروبية التي تناولت خلال تلك المرحلة المبكرة المستشفى التي أسسها التجار الأمالفيون وأصبحت نواة الاسبتارية.

أما إذا بحثنا عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في رحلته فلا نجد شيئاً نظراً لاهتماماته بالمزارات الدينية وعدم إعطائه أي قدر من الأهمية للجوانب الأخرى.

رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب Russian Abbot Daniel (٥٠٠-٥٠١هـ/١١٠٦- ١١٠٧م):

بعد مضي أربع سنوات على مغادرة سايولف حضر إلى بيت المقدس الرحالة الروسي دانيال الراهب Russian Abbot Daniel (٥٠٠-٥٠١هـ/١١٠٦- ١١٠٧م)، وامتاز دانيال عن سابقه بقضاء فترة أطول من تلك التي قضاها سايولف في بيت المقدس، فقد مكث دانيال مدة ستة عشر شهراً في محل إقامة الحجيج في دير القديس سابا[١٤] ومن ثم فقد رأى وعاين وتفحص أكثر مما رأى سايولف، وقد حوت رحلته العديد من الجوانب الهامة:

في الجانب السياسي، قرر دانيال أن الطريق الواقع من يافا إلى بيت المقدس يمتد في منطقة ذات جبال صخرية، وهو مخيف للغاية [١٥] هنا يلتقي دانيال مع سايولف على وصف الطريق بالوعورة والخطورة، ويكشف هذا النص بجلاء حالة هذا الطريق الذي كان على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمملكة حينذاك، إذ رغم تمكن بلدوين الأول من إحكام سيطرته على مدينة عكا ٤٩٨هـ/١١٠٤م مما يعني إمكانية توفر طريق بديل من عكا إلى طبرية ومنها إلى بيت المقدس،إلا أن طريق يافا بيت المقدس ظل هو الطريق الرئيس الذي سلكه الحجاج القادمون من أوروبا٠ عموما، فإن استمرار تناول الرحالة لعمليات المقاومة على هذا الطريق يفصح عن عجز المملكة عن ضبط الأمور وتدعيم سيطرتها على المنطقة لذلك اشتدت عمليات المقاومة الإسلامية ضد عناصر الحجاج الذين قدموا عونهم الحربي اللامحدود لخدمة المملكة الصليبية٠

---

(١٣) . انظر، ناصر خسرو، سفرنامه، ص٥٦

(١٤) Daniel, *Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land*, in ،P.P.T. S Vol. IV,(London 1895) p.3.

(١٥) Daniel, op. cit., p. 9.

في الجانب المعماري، وصف دانيال معالم المدينة بدقة كبيرة، وانفرد بذكر معلومات لم يذكرها غيره من الرحالة الأجانب، فقد ترك لنا دانيال جانبا عن أسوار مدينة بيت المقدس، فأشار لذلك بقوله: مدينة واسعة تحميها أربعة أسوار قوية [١٦] هذه المعلومة في غاية الأهمية ، لكون المؤرخ وليم الصوري قد جاء على وصف حالة الأسوار في عهد الملك غودفري البويوني (٤٩٢- ٤٩٣هـ/١٠٩٩- ١١٠٠م) بقوله:" أن ما كانت عليه الأسوار من هدم جعل كل موضع في المدينة مكشوفا أمام العدو" [١٧] وبناءً على ذلك فإننا نستنتج أن الدمار الذي لحق بأسوار المدينة أثناء حصار عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م كان كبيراً جداً، وهذا يفسر لنا السبب في قيام الملك بلدوين الأول(٤٩٣- ٥١٢هـ/١١٠٠- ١١١٨م) بإعادة تعمير واسعة شملت أسوار المدينة كاملة ويبدو أنها استغرقت فترة طويلة من الزمن، بفعل ضعف موارد المملكة المالية وقدراتها العسكرية، ونقص العنصر البشري[١٨] وعليه فإن سور المدينة الذي شاهده دانيال هو الذي أعاد بناءه الملك بلدوين الأول٠ ويمضي دانيال قائلا: والمدينة مبنية على هيئة مربع حيث أن جهاتها الأربع لها نفس الطول[١٩] ويحيط بالمدينة كثير من الأودية القاحلة والجبال الصخرية ويقرر أن المدينة واقعة وسط جبال صخرية[٢٠]

وفي مجال العمارة الدينية احتوت الرحلة على العديد من الإشارات عن العمائر الدينية التي استحدثت في العصر الصليبي، فعند حديثه عن جبل صهيون[٢١] ذكر بأنه جبل كبير مرتفع يقع مواجهاً الجنوب ويتسم بالانحدار الخفيف من جهة بيت المقدس، وبنيت عليه

---

[١٦] Daniel, op. cit., p.25. بنيت مدينة بيت المقدس على هضبة مرتفعة من الأرض، وتحوطها الجبال من كل جانب، ويتألف المرتفع الذي بنيت عليه المدينة من أربعة جبال هي موريا وبزيتا وأكرا وصهيون. ووقوع المدينة على هذه الجبال ميزها بطبوغرافية وعرة، واثر على التنظيم الداخلي للمدينة. انظر محمد اليعقوب، ناحية القدس الشريف، ٤٣١/٢.

[١٧] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٨٠/٢.

[١٨] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠، ص١٠٣، ١١١- ١١٢ . حيث تحدث في أكثر من موضع عن فقر المملكة بالسكان، ريموند أجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٢٦٢ . وانظر أيضا، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أمدروز، أعادت نشره مكتبة المتنبي، القاهرة، (د٠ت)، ص١٣٨ حيث ذكر بأن عدد جيشه لم يكن يزيد عن ٢٥٠٠ رجل.

[١٩] Daniel, op. cit., p.25.

[٢٠] Daniel, op. cit., p.10.

[٢١] جبل صهيون، يقع جنوب شرق بيت المقدس انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،٤٣٦/٣

أساسات مدينة بيت المقدس القديمة، التي دمرها نبوخذ نصر[٢٢]، ويقع جبل صهيون في الوقت الحاضر (عصر تدوين الرحلة) خارج أسوار المدينة جنوب بيت المقدس، وعلى هذا الجبل أُقيمت كنيسة كبيرة بسقف خشبي تقع على مسافة مرمى حجر من كنيسة صهيون[٢٣]. وأوصاف هذه الكنيسة لم ترد عند سايولف الذي أشار فقط إلى كنيسة الروح الطاهرة على جبل صهيون[٢٤]. مما يشير إلى توسع النشاط المعماري الصليبي خارج حدود المدينة، ليشمل المناطق المجاورة لها وذلك في إطار سياسة استهدفت تغيير معالم المدينة وجوارها وطبعها بالطابع المسيحي٠

وحين زار كنيسة القيامة وصفها بأنها ذات شكل دائري وتحتوي على أثني عشر عموداً على شكل مسلات وستة أعمدة أخرى مغطاة بالرخام الجميل[٢٥] وهذه الأوصاف لم يتطرق إليها سايولف عند وصفه لكنيسة القيامة. كما أن دانيال جاء على وصف الضريح المقدس[٢٦] وأوصاف هذا الضريح لم ترد عند سايولف. وانفرد بالإشارة إلى القبة المموهة بالفضة والتي تحمل على قمتها تمثالاً للمسيح من الفضة وهذه القبة أقامها الفرنج[٢٧] وهنا سجل دانيال أول إضافة أحدثها الفرنج في كنيسة القيامة وهي من التغيرات والإضافات التي لم تكن قد أقيمت عند زيارة سايولف لبيت المقدس.

وعند تناوله للموضع الذي وجد فيه الصليب –على حد زعمهم– ذكر بأنه أقيمت فيه كنيسة كبيرة ذات سقف خشبي[٢٨] ولكن لا يوجد الآن إلا كنيسة صغيرة[٢٩] وهذه الكنيسة التي أعاد الفرنج بناءها لم يرد لها ذكر في رحلة سايولف مما يشير إلى إنها لم تكن قد بنيت بعد أثناء زيارة سايولف للمدينة. وأوصاف دانيال لقبة الصخرة (التي يسميها كنيسة أقدس

---

(٢٢) نبوخذ نصر، أحد ملوك بابل والذي حكم نحو ثلاث وأربعين سنة(٦٠٤–٥٦٢ق٠م) وقام بالسبي وخرب القدس سنة٥٨٦ ق٠م انظر، محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨٤، ص٢٢٩

(٢٣) Daniel, op. cit., p.36.

(٢٤) Seawulf, op. cit., p.19.

(٢٥) Daniel, op. cit., p.11.

(٢٦) Ibid, op. cit., p.12.

(٢٧) Ibid, op. cit., loc. cit.,

(٢٨) Ibid, op. cit., p.18.

(٢٩) Ibid, op. cit., loc. Cit.,

المقدسات) [٣٠] والمسجد الأقصى (ويسميه منزل سليمان) [٣١] مفصلة وأكثر دقة مما جاء عند سايولف[٣٢]، كذلك فإن أوصافه لبرج داود لا تجد ما يماثلها في رحلة سايولف[٣٣]

التفت الرحالة الروسي إلى مسألة هامة، هي مصادر مياه بيت المقدس، فقال بان المنطقة خالية من الماء بشكل مطلق، حيث لا يجد المرء نهراً أو أباراً أو ينابيع قرب بيت المقدس باستثناء بركة سليمان، لذلك ليس أمام سكان المدينة والماشية من شيء يعتمدون عليه سوى ماء المطر[٣٤]

وإذا ما وازنا بين وصف دانيال والرحالة المسلم ناصر خسرو نرى أنهما يعطيان معاً فكرة واضحة عن الوضع المائي في المدينة، بيد أن الفارق الرئيس بين وصفيهما يكمن في دقة وشمول وصف ناصر خسرو، ففي الوقت الذي أشار فيه دانيال إلى فقر المدينة بالمياه واعتمادها على مياه الأمطار، نجد أن ناصر خسرو تنبه إلى مسألة هامة، هي المياه التي كان يعتمد عليها المسجد الأقصى فقال: " وتحت الأرض في الحرم المسقوف حوض يجعل بحيث يكون في مستوى الأرض حين يغطى٠ وقد بني لتجمع فيه مياه المطر٠٠ وقد حفرت في أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة، فإن المسجد مشيد كله على صخرة، فمهما يهطل المطر لا يذهب خارج الأحواض ولا يضيع سدى، بل ينصرف إلى الأحواض وينتفع به الناس٠ وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها وقد ثقبت

---

[٣٠] Daniel, op. cit., pp 19-20 . سبق للرحالة سايولف أن أطلق عليها هذه التسمية، أما الرحالة دانيال فقد أطلق عليها كنيسة أقدس المقدسات، وأوصافه لها مفصلة غاية التفصيل، وبمقارنة ما أورده دانيال مع ما أورده سايولف يتضح بان هذه الأوصاف للقبة جاءت قبل أن يتم تغيير معالمها العمرانية من قبل اللاتين وما أحدثوه فيها من إضافات أو تغييرات. وحين زار الرحالة المسلم الإدريسي بيت المقدس أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية أشار إليها بقوله، وبالقرب من الباب الشرقي من أبواب هذه القبة (الصخرة) الكنيسة المسماة بقدس الأقداس وهي لطيفة القدر. انظر، نزهة المشتاق، ١/ ٣٦٠.

[٣١] Daniel, op. cit., pp 21-22. وامتاز دانيال عن الرحالة سايولف أثناء وصفه المسجد الأقصى بما أورده من وصف للبوابة الجميلة فقد ذكر بان هذه البوابة مكسوة بالقصدير بشكل فني رائع ومزخرفة بالفسيفساء والنحاس المموه. وهو ما لم يشير إليه سايولف في معرض وصفه لهذه البوابة.

[٣٢] Seawulf, op. cit., pp. 15-16.

[٣٣] Daniel, op. cit., p.17. وبرج داود أحد أبراج المراقبة في قلعة بيت المقدس، ويعد من أكبرها ويقع في الجهة الغربية من بيت المقدس، وتحديدا داخل السور الغربي للمدينة قرب باب الخليل انظر، وليم الصوري:الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٧

[٣٤] Daniel, op. cit., p. 25.

هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب في الصهاريج، بواسطة قنوات بينها،غير ملوث أو عفن"[٣٥].

وجره الحديث عن مصادر مياه المسجد الأقصى إلى الكلام على مصادر مياه المدينة كلها، فقال: "رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجا كبيرا تنحدر إليه المياه من الجبل وتتجمع فيه٠ وقد أوصلوه بقناة إلى مسجد المدينة حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة٠ وفي المنازل كلها أحواض لجمع مياه المطر، إذ لا يوجد غيره هناك، ويجمع كل إنسان ما على سطح بيته من مياه"[٣٦] وهو ما لم يشر إليه دانيال عند حديثه عن الوضع المائي، ومع ذلك يعتبر دانيال أول رحالة أوروبي أولى مصادر المياه جل عنايته باعتبارها تشكل أساس الحياة وعصب النشاط الاقتصادي للمملكة.

وفي الجانب الاقتصادي امتاز دانيال عن سابقه سايولف بتقديمه مادة علمية هامة عن الوضع الاقتصادي لبيت المقدس. فهو يتحدث عن النشاط الزراعي في المدينة بقوله: "والحنطة تزدهر بشكل جيد في تلك الأراضي الصخرية التي ينقصها الماء، وإذا ما قارنا هذا بما أورده ناصر خسرو الذي يذكر بأن " بان غالبية بيت المقدس وقراها جبلية؛ وأهلها يباشرون الزراعة بكل أنواعها، وأشهر زراعاتهم الزيتون والتين، مع وجود كل أنواع الزراعات. "[٣٧] نجد أن دانيال ينفرد بالإشارة لازدهار بيت المقدس بإنتاج الحنطة رغم أن الأراضي صخرية والماء قليل، وهو ما لم يشر إليه ناصر خسرو٠ وتأتي ملاحظة القزويني لتوضح كيفية استغلال هذه الأراضي الصخرية فقال: " بان الذي عليه المدينة وضياعها جبال شاهقة ، وزرعوها على أطراف الجبال بالفؤوس لان الدواب لا عمل لها هناك[٣٨] وفي معرض حديثه عن المناطق الريفية المجاورة لمدينة بيت المقدس يذكر دانيال بأنه تكثر فيها أشجار الكرمة والفاكهة والتين والزيتون والخروب وعدد لا نهاية له من مختلف الأشجار والنباتات[٣٩] وهذه الجوانب لم يأتِ سايولف في رحلته على الإشارة إليها.

---

[٣٥] ناصر خسرو، سفرنامه، ص٥٥، ٦٣-٦٤. وانظر أيضا، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د٠ت)، ص١٦٠-١٦١.

[٣٦] ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٦٣-٦٤.

[٣٧] ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٥٣

[٣٨] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٦٠.

[٣٩] Daniel, op. cit., p. 26.

ومن الغريب أن يغفل دانيال القادم من روسيا الإشارة إلى مناخ بيت المقدس وطبيعة هوائها، وقد كانت كما وصفها المقدسي، " لا شديدة البرد، وليس بها حر، وقل ما يقع بها ثلج"[٤٠]

فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس:

ما دمنا بصدد دراسة التغيرات في مدينة بيت المقدس من خلال كتب الرحلات الأوروبية فإننا نفيد من المعلومات والملاحظات والمشاهدات القيمة التي دونها فوشيه الشارتري في ثنايا كتابه" تاريخ الحملة إلى بيت المقدس"[٤١] ومع إدراكي بأن فوشيه الشارتري ليس برحالة، إلا أنه عاش فترة طويلة في بيت المقدس امتدت من ٤٩٣-٥٢١هـ/ ١١٠٠- ١١٢٧م، وتفيدنا معلوماته عن بيت المقدس لكونه شاهد عيان ولدقة أصافه، وبالتالي فان كتاباته تكتسب أهمية خاصة تعكس مدى معرفته بالمنطقة موضوع الدراسة.

وعند تناوله لطبوغرافية بيت المقدس أكد فوشيه على وقوعها في منطقة جبلية خالية من الأشجار والينابيع والجداول، وبذلك اتفق مع ما أورده دانيال وما أورده ناصر خسرو عن وقوع المدينة في منطقة جبلية، وأنه ليس بقربها أشجار قط، فإنها على رأس صخر٠ ويتابع أوصافه بقوله: "والمدينة منبسطة انبساطاً متناسباً؛ فلا هي صغيرة ولا هي كبيرة،[٤٢] وهنا وقع فوشيه الشارتري في الخطأ إذ لا تؤيد المصادر الإسلامية ما ذهب إليه من انبساط المدينة فيذكر ناصر خسرو بان ارض المدينة غير مستوية ترتفع في مكان وتنحدر في أخر، أما ارض المسجد فهي في غاية الاستواء، وجدار المسجد يساير طبيعة الأرض المتغيرة. فإذا ما

---

[٤٠] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع هوامشه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص١٤٣

[٤١] فوشيه الشارتري Fulcher of chartes ولد بمدينة شارتر الفرنسية نحو عام ١٠٥٨-١٠٥٩م، اشترك في الحملة الصليبية الأولى، وكان مرافقاً لبلدوين الأول. وعندما عين بلدوين الأول ملكاً على بيت المقدس حضر معه إلى بيت المقدس وبقي ملازماً له حتى وفاته سنة ١١١٨م، ثم مكث فوشيه الشارتري في بيت المقدس حتى وفاته ١١٢٧م. وكتابه الذي وضعه هو "كتاب أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس" *Gesta Francorum Iherusalem Pere Grinantium* ويعد سجلاً لتاريخ الإمارات الصليبية في الشرق منذ خروج الصليبيين من بلادهم ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م وحتى عام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. وعندما أصبح بلدوين ملكاً على بيت المقدس انتقل معه فوشيه وأصبح المصدر الرئيسي عن هذه الفترة حتى وفاته. انظر، مقدمة كتاب فوشيه الشارتري، ص١٠- ١١ جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص٧.

[٤٢] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠، ص٧١

وجد بالقرب من المسجد منحدر فان جدار المسجد يتطاول، وإذا ما كان مرتفعاً فان جدار المسجد يتطامن[٤٣] وهذا ما جعل المدينة ذات طبوغرافية وعرة.

ويضيف فوشيه بأن عرض المدينة من السور إلى السور أربع رميات سهم، وفي غربها يقع برج داود يحف به السور على الجانبين، وفي جنوبها يقع جبل صهيون، وفي شرقها يقع جبل الزيتون على بعد ألف خطوة خارج المدينة[٤٤] وفي حديثه عن شوارع المدينة وأزقتها يقرر بأنها ضيقة[٤٥] وهذه الأوصاف تتشابه مع ما أورده دانيال.

ويتابع فوشيه أوصافه للمدينة وذلك بالحديث عن الوضع المائي فيها، فالمدينة خالية من الينابيع باستثناء عين سلوان، التي قد يتوافر فيها الماء في بعض الأحيان أو يقل بسبب قلة المجاري، وهذه العين تفيض في فصل الشتاء وتحتوي الأحواض والصهاريج المتعددة داخل المدينة والتي تمتلئ بمياه الأمطار في الشتاء على كمية كافية من المياه[٤٦] كما يوجد خارج المدينة أحواض أخرى لإنعاش الناس والحيوانات، وفي هذا الجانب لم يأت بجديد، ولكنه انفرد بالحديث عن شبكة تصريف مياه الأمطار داخل المدينة بقوله: "هناك مجار في شوارع المدينة يغسل فيها ماء المطر كل الأوساخ[٤٧]هذه الملاحظة التي أوردها فوشيه ولم يتطرق إليها دانيال في رحلته إنما أوردها فوشيه لكونها مبنية على المشاهدة والمعاينة والاختبار الشخصي لأوضاع المدينة وهو ما ميزه في هذا المجال.

كذلك امتاز فوشيه بما أورده من معلومات عن المقدسات الإسلامية إذ يذكر بأنه في المدينة يقع هيكل الرب (قبة الصخرة) وهو مستدير الشكل، والبناء الحالي منظره فائق الروعة يدل على مقدرة مذهلة في المعمار. وهناك معبد آخر، فخم ورائع البنيان يدعى هيكل سليمان، ولكنه ليس الهيكل الذي بناه سليمان وهو في هذا يتفق مع دانيال والذي يذكر انه من

---

[٤٣] ناصر خسرو، سفرنامه، ص٦٤

[٤٤] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص٧١. ويرد جبل الزيتون في مصادرنا الإسلامية باسم "طور زيتا" ويقع بالقرب من بيت المقدس وإلى الشرق منها ويفصله عن المدينة وادي قدرون.أنظر، لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي،ص٨٦-٨٧

[٤٥] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص٧٤. كما تشير المصادر الإسلامية إلى إنها وعرة المسالك. انظر، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوروتيا كرفولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٠٩.

[٤٦] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص٧١، وهو يتفق في هذا مع ما ذكره الرحالة المسلم ناصر خسرو. انظر، سفرنامه، ص٦٣.

[٤٧] المصدر نفسه، ص٧٣.

بناء القائد العربي المسلم عمر. [٤٨] إلا أنه في وصفه للمسجد الأقصى ينفرد بالحديث عن جانب مهم جداً لم يسبق إليه احد من الرحالة الذين زاروا بيت المقدس فقد ذكر بان هذا الهيكل قد تلف، ولم نستطع بسبب ضيق ذات اليد، أن نحافظ عليه في ذات الحلة التي وجدناه فيها، ولذا فقد تلف جزء كبير منه[٤٩] وهذه الرواية على درجة كبير من الأهمية نظرا للحقائق المتعددة التي أوردتها فهي تشير إلى مدى الخراب الذي تعرضت له مدينة بيت المقدس عامة والمقدسات الإسلامية خاصة بفعل السيطرة الصليبية عليها. كما تشير أيضا لما واجهته المملكة الصليبية خلال عهد بلدوين الأول من مصاعب مالية كبيرة، إذ أن خططه الدفاعية والتوسعية احتاجت دعما ماليا كبيرا من أجل تمويلها، وقد بذل بلدوين الأول ما وسعه من جهد للتغلب على هذه المصاعب، إلا أنه لم يكن موفقا في مساعيه، فلم تنتظم له الأمور بسهولة ويسر وهو ما يفسر ملاحظة فوشيه بعجز إمكانات المملكة المادية عن إعادته إلى سابق عهده. [٥٠]

---

[٤٨] المصدر نفسه، ص٧٣. وقع كل من دانيال الراهب وفوشيه الشارتري في اللبس إذ أن قبة الصخرة والمسجد الأقصى من الأبنية الأموية في مدينة بيت المقدس وتعود إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي بدأ بإنشاء قبة الصخرة سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م واكتمل بناؤها سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م، أما المسجد الأقصى فقد شرع بإعادة بناءه عبد الملك بن مروان واحتاج البناء لاستكمال بعض عناصره فأكملها الوليد بن عبد الملك، وكان المسجد الأقصى قبل إعادة بناءه قد بني في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان بسيطاً بني بالخشب واللبن. وأقدم وصف للبناء الذي شيده عمر بن الخطاب وجدده معاوية بن أبي سفيان قدمه الرحالة اركولف الذي زار المدينة عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م وذكر بان المسجد بناء مربع من الخشب مقام على دعائم خشبية، وانه أقيم في منطقة خربة، وانه يتسع لثلاثة آلاف في وقت واحد" انظر.

Arculf, *The Travels of Bishop Arculf in the Holy land*, in Early Travels in Palestine, New York 1969, pp 1-2 .

وانظر أيضا، محمد عيسى صالحيه، القدس في صدر الإسلام ١٦-١٣٢هـ/ ٦٣٧-٧٥٠م، ضمن كتاب القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠١، ص٨٦، ٩٢-٩٣.

[٤٩] يرجع ذلك إلى عملية تدمير المدينة ونهبها بعد السيطرة عليها من القوات الصليبية، فقتل هؤلاء معظم سكان المدينة كما قاموا بعمليات نهب لكنوز المدينة خاصة تلك التي كانت في الأماكن المقدسة.

[٥٠] فصلت المصادر الإسلامية فيما أصاب مدينة بيت المقدس من دمار وتخريب على أيدي القوات الصليبية، فقد قتل هؤلاء ما يزيد على سبعين ألفا... واخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي واخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً نقرة ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء. انظر، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ٨/ ١٨٩.

عموما فإن دراسة النصوص السابقة بعناية وتدقيق تكشف لنا عن أحوال المدينة المقدسة في بداية العصر الصليبي، وعن التغيرات التي تعرضت لها المدينة ومقدار الخراب والدمار الذي أصابها جراء السيطرة الصليبية، وهو ما أدى إلى تراجع عام في أوضاع المدينة في بداية العصر الصليبي، فعندما زارها الرحالة ناصر خسرو في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري ذكر بأنها مدينة ذات نعم وافره ورخيصة،... والقدس مدينة عظيمة حين زرتها، يقوم على حراستها عشرون ألف رجل، وأسواق المدينة عظيمة، والمساكن عالية وتغطي أرض المدينة صفائح حجرية فرشت بها الأرض، وكلما وجد الناس جبلاً أو تلاً هدموه حتى يستطيعوا البناء عليه[٥١] هذا الازدهار والحيوية الذي عاشته المدينة في العصر الإسلامي افتقدته في بداية الاحتلال الصليبي، لذلك تراجعت أوضاعها من الناحية الديموغرافية حتى أن المؤرخ وليم الصوري تحدث بإسهاب عن نقص العنصر البشري، بحيث لم يكن سكانها يشغلون شارعا واحدا من شوارعها [٥٢] كما تراجعت أحوال المدينة من الناحية الاقتصادية إذ رغم ما حوته رحلة دانيال من إشارات عن أحوالها الزراعية في ذلك العصر،إلا أنه لم يفصل القول في أسواق المدينة وصناعاتها وتجارتها، والتي تراجعت تراجعا ملحوظا قياسا بما كانت عليه حين زارها ناصر خسرو فلم تعد ذات أسواق عظيمة، يؤكد هذا عدم تعرض أي من الرحالة السابقين للنشاط التجاري في المدينة، ولعل هذا التراجع في النشاط التجاري كان وراء قيام الملك بلدوين الثاني (٥١٢- ٥٢٦هـ/ ١١١٨- ١١٣١م) بإصدار مرسوم ملكي عام ١١٢٠م/ ٥١٤هـ، أعفى بموجبه تجار الحبوب والخضار الذين يأتون بسلعهم إلى بيت المقدس من الضريبة على الأطعمة، ومما جاء في المرسوم: " وستكون لهم الحرية في المجيء إليها والخروج منها، وأن يبيعوا دون أي إعاقة في أي مكان ولأي كان سواء كان البائعون من النصارى أو من المسلمين [٥٣] وكانت الضرائب المفروضة على تجار الحبوب تحصل عند قلعة المدينة، وانفرد المؤرخ الصليبي أوردريك فيتالس بالإشارة إلى أن الباب المجاور لبرج داود كان يتم فيه تمكيس الداخلين إلى بيت المقدس[٥٤]

رحلة فيتلوس Fetelus ١١٣٠م/ ٥٢٥هـ:

---

[٥١] ناصر خسرو، سفرنامه، ص٥٣-٥٤.

[٥٢] وليم لصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ٢/ ١٨٠-١٨١، ٣١٧-٣١٩.

[٥٣] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص١٨٩، وانظر أيضا، نص المرسوم الملكي في *Assises de Jerusalem*, Vol.11, Doc No6. p. 485.

[٥٤] أوردريك فيتالس، التاريخ الكنسي، ترجمة سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٨، ص١١٩

بعد مضي ثلاثة وعشرين عاما على مغادرة دانيال زار بيت المقدس الرحالة الأوروبي فيتلوس Fetelus في حدود عام ١١٣٠م/ ٥٢٥هـ، وتتبوأ رحلته مكانة هامة بين الرحلات الأوروبية، فقد ضمت بين ثناياها جوانب متعددة عن أوضاع المدينة في الحقبة الصليبية.

في الجانب الطبوغرافي، تحدث فيتلوس عن وقوع المدينة في منطقة جبلية، وانفرد عن سابقيه من الرحالة(سايولف، دانيال) بالإشارة إلى بوابات مدينة بيت المقدس وهي بوابة النبي داود في الغرب، وبوابة جبل صهيون في الجنوب، وبوابة القديس ستيفن في الشمال، وبوابة يعبر منها إلى وادي جوسفات في الجهة الشرقية(٥٥).

وبمقارنة أوصاف فيتلوس مع أوصاف الرحالة الإدريسي نلحظ دقة الإدريسي في هذا المجال فأشار لبواباتها بقوله:" وفي طرفها الغربي باب المحراب، وهذا الباب عليه قبة داود عليه السلام، وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة وهو مغلق ولا يفتح إلا من عيد الزيتون لمثله، وهو ما لم يشر إليه فيتلوس، ولها من جهة الجنوب باب يسمى باب صهيون، ومن جهة الشمال باب يسمى عمود الغراب(٥٦).

وقرر الرحالة أنه عبر المدينة من بوابة داود(٥٧) وتفيدنا هذه الملاحظة بأن الرحالة وصل إلى ميناء يافا ثم غادرها إلى بيت المقدس، سالكا طريق يافا بيت المقدس، ونلحظ أن فيتلوس لم يشر لأية فعاليات لحركة المقاومة الشعبية الإسلامية على هذا الطريق، ويبدو أن المملكة الصليبية في عهد بلدوين الثاني (٥١٢- ٥٢٦هـ/ ١١١٨- ١١٣١م) أخذت تدعم سيطرتها على هذا الممر الحيوي الذي يستخدمه الحجاج القادمون من أوروبا لذلك لم يشر لأية متاعب واجهها أثناء عبوره لهذا الطريق.

وفي الجانب الحربي، انفرد بالإشارة إلى هيئة فرسان الداوية بقوله: "وتحت المعبد مكان إقامة الجنود الجدد الذين يحرسون بيت المقدس"(٥٨) ويرجح بأن المقصود بهذا المكان المصلى الذي يسمى حالياً باسم (الأقصى القديم) الذي يقع تحت المسجد الأقصى، وإشارته

---

(٥٥) Fetellus, *Jerusalem and the Holy places*, in ،P. P. T. S, Vol V(London 1896), p. 1.

(٥٦) الإدريسي، نزهة المشتاق،٣٥٨/١

(٥٧) Fetellus, op. cit, pp.2-3.

(٥٨) Fetellus, op. cit., p.39. وكانت فرقة الداوية قد تأسست عام ١١١٨م/ ٥١٢هـ على يد هيو دي بايننز من شمبانيا، وتحولت إلى هيئة عسكرية في العام نفسه، وقبل أن يطلق عليهم اسم الهيكليين Templars كانوا يعرفون باسم الفرسان الفقراء للمدينة المقدسة. انظر، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ٣٤٥- ٣٤٧.

على جانب كبير من الأهمية لكونها أولى الإشارات التي ترد عن هذه الهيئة في كتب الرحلات الأوروبية.

أما في الجانب الاقتصادي، فإننا نلمس اهتمامه في هذا المجال من خلال تناوله للنشاط التجاري في المدن الساحلية الفلسطينية التي خضعت للسيطرة الصليبية فنراه يتحدث عن النشاط التجاري لميناء عكا، كما تناول نشاط بعض المراكز التجارية الداخلية لا سيما سوق الميدان الذي أقيم في المنطقة الحدودية بين المملكة الصليبية وأتابكية دمشق[٥٩] إلا أنه لم يفصل القول عن أوضاع مدينة بيت المقدس التجارية، مما يفهم منه أن المدينة حتى وقت قدومه لم تكن قد استعادت نشاطها وحيويتها التي كانت عليه في العهد الإسلامي، ويبدو أن الإجراءات التي قام بها بلدوين الثاني لم تنجح في إعادة تنشيط التجارة ذلك أن المسلمين قد نشطوا نشاطا كبيرا في مقاومة الصليبيين بكثرة الغارات على زوار المدينة وهم في طريقهم منها وإليها، مما تطلب إجراءات إضافية لتحقيق الأمن، وفي هذا المجال تم اتخاذ عدة خطوات أولها تأسيس المنظمات الرهبانية العسكرية وهي الداوية والاسبتارية، وكان فيتلوس شاهدا على تأسيس هيئة فرسان الداوية٠ كما تم تنفيذ عدد من مشاريع البناء ذات الصبغة العسكرية في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، منها إعادة ترميم أسوار المدينة، في عهد الملك بلدوين الأول٠ ومع ذلك فإن المدن الفلسطينية التي خضعت للسيطرة الصليبية في عمرها الأول(٤٩٢- ٥٨٣هـ/ ١٠٩٩- ١١٨٧م) ظلت تعتمد في حياتها على الواردات التي كانت تأتيها من جزيرة قبرص أو من مملكة أرمينيا أو أوروبا وهذه الحقيقة أكدها المؤرخ الصليبي ألبرت دكس بقوله: أنه لما أعيد بناء أسوار مدينة يافا جلب التجار من الممالك والجزر المواد الغذائية للصليبيين عن طريق ميناء يافا، وأصبح هذا الميناء مهماً حيث وصل عن طريقه العديد من الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس[٦٠]

كما تحدث عن المستشفى الموجود في المدينة بقوله: خارج كنيسة الضريح المقدس باتجاه الجنوب يوجد المستشفى الذي بني للعناية بالأشخاص الفقراء غير القادرين[٦١] وهذا

---

(٥٩) Fetellus, op. cit., p.26.

(٦٠) Albert d Aix, *Historia Hierosolmitana*,in R.H.C.H.occ, tome IV, Paris 1879, pp.644-645.

(٦١) Fetellus, op. cit, pp. 2-3.

وجاء في هوامش الترجمة الإنجليزية على هذا الخبر بان المستشفى المشار إليه قد تم بناءه من قبل شارلمان، كما ذكر ذلك الرحالة برنارد الحكيم، ومن المحتمل أن يكون هذا المستشفى قد دمر مع كنيسة القبر المقدس من قبل الحاكم بأمر الله عام ١٠١٠م وأشار سايولف في رحلته إلى هذا المستشفى وإشارة فيتلوس لهذا المستشفى تكشف عن تواضع الدور الذي أنيط به.

المستشفى لم يشر إليه دانيال في رحلته وإنما ذكره سايولف. وانفرد بالإشارة إلى بيت المجذومين خارج أسوار بيت المقدس وحدد موقعه بأنه بين برج تانكرد وبوابة القديس ستيفن. (٦٢)

رحلة يوحنا من فورزبورغ John of Wurzburg ١١٦٠-١١٧٠م/ ٥٥٥- ٥٦٦هـ:

في الفترة ما بين ١١٦٠-١١٧٠م/ ٥٥٥- ٥٦٦هـ، وصل إلى بيت المقدس الرحالة الألماني يوحنا من فورزبورغ John of Wurzburg، ولهذه الرحلة مكانة متميزة عن بقية الرحلات الأوروبية لبيت المقدس، بالنظر لما حوته من جوانب متعددة عن أوضاع المدينة خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

بادي بدء، نلحظ أن الرحالة الألماني فورزبورغ امتاز عن سابقيه من الرحالة بتحديد المسافات التي تفصل بيت المقدس عن بقية المدن الفلسطينية المحيطة بها. (٦٣)وصف الرحالة فورزبورغ المدينة المقدسة، ودّون عنها معلومات في غاية الأهمية، وتفرد بذكر معلومات لم ترد عند غيره من الرحالة فحين جاء على وصف قبة الصخرة (التي يدعوها معبد السيد)، انفرد بالإشارة إلى أن المسلمين يأتون لتأدية الصلاة فيها ويتجهون في صلاتهم صوب القبلة، وأشار إلى وجود بوصلة في هذا المكان تشير إلى الجنوب، أي الاتجاه الذي يولون وجوههم إليه في الصلاة. (٦٤) وهي أول إشارة ترد في كتب الرحلات الأوروبية تتناول هذا الجانب، إذ من المعروف أنه لم يكن يسمح للمسلمين بالإقامة أو الدخول لبيت المقدس، إلا أن هذه السياسة أخذت تتغير حين أحست المملكة الصليبية بحاجتها إلى العنصر البشري، ويبدو أن السماح للمسلمين بدخول المدينة والصلاة فيها جاء بعد صدور مرسوم الملك بلدوين

---

(٦٢) Fetellus, op. cit., p.39 . بيت المجذومين، والذي أصبح فيما بعد مستشفى المصابين بالجذام التابع لهيئة القديس لعازر، وكان هذا البيت النواة الأولى لتنظيم القديس لعازر وتكمن أهمية هذا المستشفى انه متخصص في علاج مرض جلدي محدد، وقد رصدت على هذا المستشفى الأوقاف الكثيرة لتمكينه من القيام بمهامه ولدينا العديد من الوقفيات على هذا المستشفى. انظر، محمد مؤنس، الحروب الصليبية، ص١٢٧، ومن الوثائق الوقفية على هذا المستشفى وقفية مؤرخه في أكتوبر عام ١١٦٩م بموجبها يحصل المستشفي على ٢٠ بيزنط سنوياً لمرضى الجذام. انظر *Les Archives de l'Orient latin*, Paris, 1881, Doc n. 17 P,136. ويراد ببوابة القديس ستيفن باب العمود وهو في الجهة الشمالية من الأسوار بميل قليل نحو الغرب. محمد يعقوب، ناحية القدس الشريف، ٤٣٠/٢أما برج تانكرد فيقع في الزاوية الجنوبية الغربية من أسوار المدينة

(٦٣) John of Wurzburg, *Description of the Holy land*, i ،P. P.T. S. Vol.V(London 1896), p.9.

(٦٤) Ibid, op. cit., p.15.

الثاني ١١٢٠م/ ٥١٤هـ، والذي سمح بموجبه للتجار المسلمين بحرية الدخول إلى المدينة المقدسة ومعهم الترخيص بالدخول والخروج وبيع ما يحملونه بلا أدنى عائق.

كذلك انفرد فورزبورغ بإلقاء الضوء على جانب من أوضاع المسلمين في بيت المقدس ومعاناتهم النفسية في ظل الاحتلال الصليبي، وهو ما لم تشر إليه الرحلات السابقة، فتحدث عن قيام الفرنج بتثبيت صليبهم المقدس فوق قبة الصخرة، والذي يعتبره المسلمون عملا مزعجاً جداً، والعديد منهم مستعد لدفع الذهب الكثير من أجل إبعاده. (٦٥)

صور لنا هذا النص الأبعاد النفسية والجوانب الانفعالية، وهو نص فريد يصف حالة المسلمين في ظل الاحتلال الصليبي، وإذا كان فورزبورغ قد صور المعاناة والضيق التي عليها المسلمون من وجود هذا الصليب فوق قبة الصخرة، فإن المؤرخ المسلم ابن واصل سجل ما أصبح عليه هؤلاء بعد تحرير بيت المقدس وإزالته عن القبة بقوله:" فلما قلعوه وسقط صاح الناس كلهم صوتاً واحداً ... أما المسلمون فكبروا فرحاً، وأما الفرنج فصاحوا توجعاً وتفجعاً" (٦٦).

ويتابع فورزبورغ وصفه لمعالم المدينة بالإشارة إلى أنه في الجانب الشمالي من القبة (المعبد) يوجد باب يؤدي إلى أديرة الكهنة(٦٧) وكان الرحالة ناصر خسرو قد جاء على وصف هذه القباب التي يسميها فورزبورغ أديرة الكهنة وذكر منها قبة يعقوب عليه السلام(٦٨) وفوق عتبة الباب العديد من الرسائل (النقوش) الإسلامية، ويؤيد السائح الهروي ما ذهب إليه فورزبورغ، فقد لفت نظره وجود العديد من النقوش والكتابات الإسلامية على جدران المسجد الأقصى وقبة الصخرة مما لم يغيره اللاتين فقد جاء في رحلته ما نصه: "الباب الشرقي إلى جانب قبة السلسلة وعليه عقد مكتوب عليه اسم القائم بأمر الله ... وعلى سائر الأبواب كذلك لم تغيره الفرنج... المسجد الأقصى به محراب عمر بن الخطاب لم تغيره الفرنج،... وجميع ما على الأبواب من آيات القران العزيز وأسامي الخلفاء لم تغيره الفرنج. (٦٩) ويتابع

---

(٦٥) Ibid, op. cit,. loc. cit.,. وأشارت المصادر الإسلامية إلى هذا الصليب الذي كان على رأس قبة الصخرة، وكان شكلاً عظيماً. انظر، ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٨٠، ٢/ ٢١٧، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق احمد أيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣، ص١٦٢.

(٦٦) انظر، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ، ٢/ ٢١٧.

(٦٧) Wurzburg, op. cit., p.16.

(٦٨) انظر، سفرنامه، ص٥٧-٥٨

(٦٩) الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢،ص٣١-٣٢.

فورزبورغ وبجانب هذا الباب موقع للمياه العذبة[٧٠] وعند مدخل المعبد باتجاه الغرب تمثال للسيد المسيح[٧١] وهنا يسجل فورزبورغ بعض ما أحدثه اللاتين من تغييرات في معالم المدينة المقدسة لتصبح ذات طابع وهوية كاثوليكية.

كذلك انفرد بالحديث عن وجود شبكة أنابيب رصاصية مثبتة فوق قبة الصخرة لتصريف مياه الأمطار[٧٢] وهذه الشبكة جزء من نظام دقيق للاستفادة من مياه الأمطار وتخزينها، وسبق للرحالة ناصر خسرو أن تحدث عن شبكة الميازيب الرصاصية التي كانت موجودة في أرضية المسجد الأقصى[٧٣] وجاءت معلومة فورزبورغ لتعطينا فكرة واضحة عن هذه الشبكة التي صممت بطريقة هندسية بارعة للاستفادة من مياه الأمطار وتجميعها.

إن دراسة النصوص الأوروبية والإسلامية بهذا الخصوص تكشف النقاب عن المنشآت المائية المتنوعة في مدينة بيت المقدس ومنها برك المياه الكبيرة، التي استخدمت لحفظ مياه الأمطار، وكذلك وجد بها نظام دقيق لخزن المياه داخل المنازل السكنية في خزانات أرضية حفرت وبنيت بطريقة هندسية بارعة تحت مستوى أرضيات المسجد أو الدور السكنية. كما جاء في رحلته على وصف المسجد الأقصى وأشار إلى تحويل جزء منه إلى إسطبلات لخيول الفرنجة[٧٤] وكان الهروي قد أشار لهذه الإسطبلات بقوله: "وتحت الأقصى إسطبل كان لدواب سليمان"[٧٥]

وعندما تنزل الشارع الرئيس توجد بوابة ضخمة[٧٦] حيث نتعرف بواسطتها على ساحة المعبد الواسعة. ويقع القصر على اليد اليمنى باتجاه الجنوب حيث يوجد إسطبل بحجم رائع يمكن أن يشتمل على أكثر من ألفي حصان أو خمسمائة جمل. [٧٧]

---

(٧٠) Wurzburg, op. cit., p.16. وجاء في هوامش الترجمة الإنجليزية أن هذا الباب هو باب الجنة " The Bab el – Jenneh" وأديرة الكهنة تحتل الجزء الشمالي من المسجد الأقصى المبارك. ويراد بباب الجنة باب الأسباط ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد الأقصى المبارك.

(٧١) Ibid, op. cit., p. 16.

(٧٢) Wurzburg, op. cit., p. 18.

(٧٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٥٥، ٦٣- ٦٤

(٧٤) Wurzburg, op. cit., p. 21.

(٧٥) انظر، الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات ص٣٣

(٧٦) Wurzburg, op. cit,. p. 21 . ولعله يريد بالبوابة الضخمة التي يعبر منها إلى ساحة المسجد الأقصى "الباب المفرد" وهو احد المداخل الجنوبية ويقع بالقرب من باب الحصان والذي سمي بذلك لأنه يؤدي إلى إسطبلات سليمان، وقد بني هذا الباب زمن عبد الملك بن مروان وأعيد ترميمه في الفترة الصليبية، وكان هذا الباب قد رمم أثناء زيارة فورزبورغ (وهو الآن مغلق). انظر محمد غوشه، بوابات القدس، ص ١٢٤، ١٣٧

ولهذه المعلومة دلالة خاصة فهي تشير إلى تنامي القوة العسكرية لهيئة فرسان الداوية، وامتلاكهم آلاف الخيول والجمال اللازمة لعمليات القتال٠كما تعكس مدى ثراء هذه الهيئة لكون الأعداد التي أوردها الرحالة خاص بدواب الداوية وحدها٠

وتمتلك الداوية العديد من المباني المتصلة الواقعة بالقرب من هذا القصر(٧٨) وكان الرحالة المسلم الإدريسي الذي زار بيت المقدس في (٥٤٨- ٥٦٠هـ/١١٥٣- ١١٦٤م) قد أشار أثناء زيارته لمدينة بيت المقدس إلى ما استحدثه الداوية من أبنية في المسجد الأقصى منها بيوتاً يسكنها الداوية ويقابل الباب الشمالي بستان حسن مغروس بأنواع الأشجار ودائر هذا البستان أعمدة مضفورة بأبدع ما يكون من الصنعة وفي آخر البستان مجلس برسم الغداء للقسيسين. (٧٩)

وانفرد فورزبورغ بالإشارة إلى أساسات الكنيسة الضخمة الجديدة التي لم يكتمل بناؤها الآن والتي عمل الداوية على تشييدها. (٨٠) وهذه الكنيسة لم يشر إليها الإدريسي علما بأنه تحدث عما أحدثه الداوية من أبنية في المسجد الأقصى، وقد تم تدمير هذه الكنيسة حين حرر صلاح الدين بيت المقدس ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م(٨١)

وتتجلى "علمية" الرحالة فورزبورغ ودقته فيما خلفه من وصف بالأرقام لمستشفى القديس يوحنا فقد انفرد بتقديم إحصاءات تقديريه عن قدراته الاستيعابية وهو ما لم نجده عند غيره من الرحالة(٨٢)

من جهة أخرى، قدم فورزبورغ نصوصا مهمة عن المجتمع الصليبي في مملكة بيت المقدس فانفرد بالحديث عن البنية السكانية غير المتجانسة لمدينة بيت المقدس والجديد في تناوله ما ساد بين الفرنجة أنفسهم من تنافر وتباغض وتحاسد فيذكر بان الذين استولوا على بيت المقدس لا يتقبلون غودفري البويوني لكونه ألمانيا، وينسبون المعاناة في الحملة إلى الفرنسيين فقط. (٨٣)

---

(٧٧) Wurzburg, op. cit., p. 21.

(٧٨) Wurzburg, op. cit., p. 21.

(٧٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ١/ ٣٦٠

(٨٠) Wurzburg, op. cit,. p. 21.

(٨١) انظر، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمود صبح، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٣٧.

(٨٢) Wurzburg, op. cit,. p.44 . وهذه الإشارة تشي بتزايد أهمية الدور الذي نهض به المستشفى في خدمة الكيان الصليبي وتنامي دورة في مجتمع بيت المقدس.

(٨٣) Ibid, op. cit., p.40. أما غودفري البويوني، فقد ولد سنة ١٠٥٨ م، وكان أحد أبرز زعماء الحملة الأولى ، وبعد السيطرة على القدس أصبح حاكما لها٠انظر، سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص٦١

هذه الملاحظة تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن البنية السكانية امتازت بالتمزق والتشتت، كما كشف فورزبورغ في رحلته عن طبيعة العلاقات العدائية والتنافس الذي كان قائما فيما بين الصليبيين أنفسهم.[٨٤]

وانفرد كذلك بالحديث عن البيت الألماني وهو الهيئة التي تطورت فيما بعد وأصبحت تعرف باسم هيئة فرسان التيوتون، فقد جاء في رحلته ما نصه: "في هذا الشارع يوجد النزل والكنيسة التي بنيت حديثاً على شرف القديسة مريم وتدعى باسم البيت الألماني.[٨٥]

كذلك انفرد يوحنا فورزبورغ بالإشارة إلى احد أسواق مدينة بيت المقدس بقوله: يذهب المرء باستقامة من بوابة يهوشافاط[٨٦] إلى الشارع المؤدي إلى بوابة القديس ستيفن حيث يتجه شمالاً صوب الشوارع المتعددة (الشوارع الثلاثية) حيث السوق المشتمل على جميع الأشياء المعدة للبيع مقابل كنيسة القبر المقدس. [٨٧]

ويبدو أن الإجراءات التي قامت بها المملكة الصليبية لتحقيق الأمن في المدينة قد أخذت تؤتي ثمارها وهو ما نتج عنه عودة النشاط التجاري إلى المدينة.

رحلة بنيامين التطيليBenjamin of Tudlea ١١٦٨م/ ٥٦٤هـ:

زار بيت المقدس في هذا العصر عدد من مشاهير الرحالة اليهود وترك لنا هؤلاء ما شاهدوه وتناقلوه من روايات عن أوضاع المدينة المقدسة على المستويات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية حينذاك؛ فكانت رحلاتهم من المصادر المعول عليها لدراسة تاريخ المدينة.

ومن بين مشاهير الرحالة اليهود الذين وصلت إلينا أسفارهم خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بنيامين بن يونة التطيلي الأندلسي الذي ارتحل إلى بيت

---

(٨٤) لمزيد من التفاصيل عن البنية السكانية في مملكة بيت المقدس انظر، محمد مؤنس، الحروب الصليبية، السياسة، المياه، العقيدة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٤٢

(٨٥) Ibid, op. cit., p.46.

(٨٦) بوابة يهوشافاط، يراد بها بوابة الساهرة، وعرفت في العصر الصليبي بهذا الاسم انظر، محمد غوشه، بوابات القدس، ص١٥

(٨٧) Wurzburg, op. cit., p.48.

المقدس في حدود عام١١٦٨م/ ٥٦٤هـ [٨٨]، وقد احتوت هذه الرحلة على جوانب هامة عن أحوال المدينة في هذه الحقبة:

فمن الناحية الطبوغرافية أشار إلى أن بيت المقدس بلدة صغيرة عظيمة التحصين تحيط بها ثلاثة أسوار[٨٩] وهذه الملاحظة من جانب بنيامين تشير إلى الهاجس الأمني عند هؤلاء الغزاة لذلك تركز اهتمامهم على العناية بالجانب العسكري وزيادة تحصين المدينة لمواجهة التهديد الإسلامي.

كما احتوت رحلته على جوانب مهمة فيما يتصل بالبنية السكانية للمدينة في عصر الحروب الصليبية فيذكر بأنه يقيم فيها عدد كبير من اليعاقبة والسريان والأرمن و اليونان والكرج والإفرنج خليط من كل أمة ولسان[٩٠].

كما قدم تناولاً هاماً لتوزيع العنصر اليهودي وأعداده ونشاطه الاقتصادي في بيت المقدس على نحو لا نجد له نظيراً لدى الرحالة المسيحيين الذين زاروا المدينة، وبالقدس معمل للصباغة يستأجره اليهود من ملك القدس سنوياً – عموري الأول– فتنحصر بهم هذه المهنة دون غيرهم، ويبلغ عددهم في هذه المدينة نحو المائتين؛ يقيمون في حي مجاور لبرج

---

[٨٨] بنيامين التطيلي:من وجهاء اليهود في قشتالة، قام برحلته إلى المشرق الإسلامي في حدود ١١٦٥–١١٧٣م انظر، مقدمة رحلة بنيامين، ص٢٢–٢٣وانظر أيضا، بتاحيا الراتسبوني، رحلة الرّبي بتاحيا الراتسبوني ٥٧١–٥٧٦هـ/ ١١٧٥– ١١٨٠م، ترجمة ودراسة وتحقيق فؤاد عبد الرحيم الدويكات، دار الكتاب الثقافي، أربد، ٢٠١٠، ص١١– ١٢

[٨٩] بنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد ، ١٩٤٥، ص٩٨ وقد اعتمد عزرا حداد في ترجمته لرحلة بنيامين على نسخة بغداد المنقولة عن طبعة فرارة القديمة سنة ١٥٥٦، والمكتوبة بالخط العبري المعروف بالخط الآشوري المربع وهي نسخة نادرة، وقد طبعت على حجر ببغداد ١٨٦٥ انظر، مقدمة الرحلة بقلم عزرا حداد، ص٣٩، وأشار عزرا في مقدمته إنني وان كنت اعتمدت في الترجمة على نسخة بغداد إلا إنني لم أتأخر عن ذكر ما يخالف نصها في النسخ الأخرى مثل نسخة آشر وأدلر، وبمقارنة نسخة آشر وأدلر بنسخة بغداد التي اعتمدها عزرا حداد تبين أن رحلة بنيامين التطيلي في بلاد الشام وتنقله في مدنها ونواحيها ومن ثم حجه إلى بيت المقدس لم يرد في نسخة أدلر انظر. *Jewish Traveler*, ed. Adler, London, 1930, pp 38 – 63. بينما وردت أوصاف بنيامين لبلاد الشام وحجه إلى بيت المقدس في نسخة Asher آشر التي ظهرت في لندن ١٨٤٠ ونقلها عنه توماس رايت في مجموعته المطبوعة في لندن ١٨٤٨.

The Travels of Rabbi Benjamin of Tudela, in Early Travels in Palestine, New York, 1969, pp. 63-126.

وقد فات عزرا حداد التنويه إلى عدم احتواء النسخة التي ترجمها أدلر على الأوصاف التي قدمها بنيامين لبلاد الشام وكذلك أخبار حجه إلى بيت المقدس.

[٩٠] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص٩٩؛ *Benjamin of Tudela*, ed. Wright, p. 83

داود. [٩١] وقيمة هذه الرواية تتمثل في أن اليهود ندر الاهتمام بهم من جانب الرحالة المسيحيين في ذلك العصر، وإكمالا للفائدة يحسن بنا أن نتناول حجم الطائفة اليهودية في مدينة بيت المقدس في ظل الاحتلال الصليبي، إذ تؤكد المصادر اليهودية أنه حتى نهاية الوجود الصليبي في فلسطين كان عدد اليهود في المدينة المقدسة محدودا فقد قرر بنيامين أن عددهم كان نحو المائتين، وهذا العدد مبالغ فيه، ذلك أن الرحالة بتاحيا الراتسبوني الذي زار بيت المقدس بعد بنيامين بنحو أقل من عقد من الزمن، لم يجد فيها إلا يهودياً واحداً، كان يعمل صباغا[٩٢]

ويعلل بنيامين كيدار قلة عدد اليهود في المدينة لإجراءات الصليبيين الذين لم يسمحوا إلا لعدد قليل من اليهود للإقامة بالمدينة[٩٣] ولعل نجاح السلاجقة في السيطرة على فلسطين سببا معقولا في دفع اليهود إلى هجرة المدينة، فقد أخذوا بالهجرة المعاكسة من المدينة منذ سبعينات القرن الحادي عشر الميلادي حيث صاحب السيطرة السلجوقية على فلسطين، وانتشار أعمال الفوضى انتقال قيادة الجماعة اليهودية من الرملة إلى صيدا ثم استقرت القيادة اليهودية في دمشق[٩٤] ثم كان للإشاعات التي روجت للحروب الصليبية، وما رافق ذلك من مذابح، أن ارتعدت فرائصهم فكانوا الأسرع في الهرب من المدينة طلبا للنجاة، وبعد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية سمح لهؤلاء بالإقامة في المدن الفلسطينية باستثناء مدينة بيت المقدس التي كان يحظر عليهم الإقامة فيها، وأعلن قانون الحظر هذا بعد الاستيلاء على المدينة مباشرة، ويبدو أن حدة هذا القانون أخذت تخف تدريجيا لذلك تحدث بنيامين (١١٦٨م) عن الأسر اليهودية التي أقامت في الحي المجاور لبرج داود[٩٥]

ولم يقتصر بنيامين على ما ذكر سابقا، وإنما أورد معلومتين لهما دلالتهما الواضحة، المعلومة الأولى ذات طابع طبي فذكر أن بالقدس مستشفيان يتسعان لإيواء أربعمائة من فرسان الاسبتارية عدا المرضى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم في الحياة وبعد الممات، وتؤكد هذه المعلومة على اهتمام المملكة بهذه المؤسسات، وتنامي الدور الذي نهضت به في خدمة

---

[٩١] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص٩٩؛ *Benjamin of Tudela*, ed. Wright, p. 83

[٩٢] بتاحيا الراتسبوني، رحلة الرَبي بتاحيا الراتسبوني، ص١٥٠

[٩٣] Kedar, *The Jews Of Jerusalem*, VoL 2, Detroit, 1982, p. 23.

[٩٤] يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس، ترجمة عبد الحافظ البنا، عين للبحوث والدراسات الإنسانية،القاهرة، ٢٠٠١، ص٨١

[٩٥] بتاحيا الراتسبوني، رحلة الرَبي بتاحيا الراتسبوني،(الدراسة)، ص٤٤– ٤٥

الكيان الصليبي. وأما المعلومة الثانية التي يقدمها بنيامين فننقلها بحرفيتها لأهميتها: "وفيها أيضاً البناية المسماة معبد سليمان ويقيم في هذه البناية نحو الثلاثمائة من فرسان المعبد". [٩٦]

وبمقارنة هذه المعلومة مع ما أورده فورزبورغ يتضح تعاظم دور هيئة فرسان الداوية في خدمة الكيان الصليبي، فقد قامت الداوية بأداء دور على جانب كبير من الأهمية كمدافعين عن الحجاج عبر الطرق، وفي تسهيل مرورهم عبر الطريق الممتد من الساحل إلى المدينة المقدسة ومن بيت المقدس إلى نهر الأردن، وإلى مناطق زيارة الحجاج الأخرى. وكشفت نصوص فورزبورغ عن تعاظم قدراتهم العسكرية فكانت إسطبلاتهم بحسب وصفه تتسع لآلاف الخيول والجمال، في حين جاءت إشارة بنيامين لتشير إلى تزايد أعدادهم على نحو يشير إلى تزايد نفوذهم وقدراتهم بصورة واضحة.

رحلة ثيودريك Theoderich ١١٦١- ١١٦٤م/ ٥٥٧- ٥٥٩هـ:

وفي الفترة ما بين ١١٦١- ١١٦٤م/ ٥٥٧- ٥٥٩هـ، زار الرحالة الألماني ثيودريك Theoderich مدينة بيت المقدس، وامتاز هذا الرحالة عن سابقيه بأنه كان دقيق الملاحظة شديد العناية بتقصي الأخبار وروايتها فترك لنا معلومات متنوعة عن المدينة المقدسة في هذه الحقبة الزمنية، وسوف يصنف الباحث هذه المعلومات إلى أربع مجموعات متجانسة، الأولى منها خاصة بالجوانب الجغرافية، والثانية تتضمن الجوانب المعمارية، والثالثة عن الجوانب الاقتصادية، والرابعة عن النواحي الاجتماعية.

وفيما يتعلق بالجانب الجغرافي، انفراده الرحالة بذكر حدود إقليم بيت المقدس، إذ يحدها من الغرب البحر العظيم (البحر المتوسط)، ومن الجنوب تنفصل عن جبال العربية[٩٧] ومصر بوساطة الصحراء، ومن الشرق فهي محددة بنهر الأردن، ومن الشمال عند حافة السامرة وادوميا[٩٨] وتغلب الطبيعة الجبلية على منطقة بيت المقدس بمعظم أجزاءها، وعند النظر في هذه الأوصاف يتبادر إلى ذهن الدارس السؤال التالي: هل كانت هذه الحدود التي

---

[٩٦] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص٩٩، Benjamin of Tudela, ed. Wright, p. 83. ورواية بنيامين تكشف عن تنامي الدور الذي نهضت به المستشفيات الصليبية في خدمة هذا الكيان.

[٩٧] يراد بالعربية، الولاية التي أقامها الرومان بعد القضاء على دولة الأنباط عام ١٠٦م وعرفت بـــ" الولاية العربية" وفي بادئ الأمر جعلوا مركزها البتراء، ثم جعلوها بصرى فيما بعد، ثم فصل الرومان المناطق الجنوبية من هذه الولاية والمكونة من المنطقة الجنوبية من الأردن وفلسطين وسيناء وجعلت ولاية مستقلة عرفت باسم فلسطين الثالثة وصار مركزها بيت جبرين. انظر، مصطفى الحياري، جند فلسطين، ملاحظات حول حدوده وتقسيماته الإدارية، ضمن كتاب أوراق في التاريخ والأدب، تحرير علي ذو الفقار، لندن، ١٩٩٢،ص٥٨

[٩٨] *Theoderich's Description of the Holy Places*, in ،P. P. T. S VoL V,London 1896, p.3

انفرد بذكرها ثيودريك تعكس صورة ترتيبات إدارية معينة أقامتها المملكة الصليبية لمدينة بيت المقدس وجوارها؟

أغلب الظن أنها كذلك، إذ لو قارنا هذه الحدود التي أوردها الرحالة ثيودريك من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بحدود نيابة بيت المقدس والتي تبلورت بشكل واضح أواخر العصر المملوكي وجاء على ذكرها بالتفصيل العمري " والقدس الشريف مشتملة على مدينة القدس وما حوله إلى نهر الأردن ... إلى فلسطين المسماة بالرملة طولاً ومن البحر الشامي إلى مدائن لوط عرضاً إلى ما هو في جنباتها"[٩٩] لوجدنا أنها تكاد تتطابق.

كما تحدث ثيودريك أيضا عن الأودية المحيطة ببيت المقدس مثل وادي قدرون ووادي يهوشافاط اللذين يقعان بين جبل موريا[١٠٠] وجبل الزيتون، يقابلهما وادٍ آخر يتصل مجراه من ناحية اليد اليمنى لزاوية المدينة متجاوزاً الأحواض الجديدة بين جبل الزيتون وحقل الدم، مطوقاً المدينة من جانبين بوهدة عميقة. [١٠١]

وإذا كنا انتهينا من الجانب الجغرافي ننتقل إلى الجانب المعماري، وقد ذكر ثيودريك في هذا الجانب أن المدينة "يمتد الجزء الأطول منها الآن – عصر تدوين الرحلة – من الشمال إلى الجنوب، ويمتد عرضه من الغرب إلى الشرق، وهي شديدة التحصين بأسوار ومعاقل على قمة الجبل، فوق الوديان سالفة الذكر. ويوجد أيضاً قلعة حصينة وهي مزودة بأسوار ذات فتحات صغيرة وفتحات للرماية يطلقون عليها اسم الحصن الأمامي للدفاع عن المدينة[١٠٢] وتؤكد هذه المعلومات عناية المملكة الصليبية واهتمامها بتحصين المدينة المقدسة لتمكينها من الصمود في وجه القوى الإسلامية إذا ما فكرت في مهاجمتها.

---

[٩٩] العمري، مسالك الأبصار، ص٢٠٨-٢٠٩

[١٠٠] جبل موريا:وهو الجبل الذي أقيم عليه المسجد الأقصى المبارك، ويرتفع(٧٤٠) مترا عن سطح البحر انظر، محمد اليعقوب، ناحية القدس الشريف،٤٣١/٢

[١٠١] Ibid, op. cit., pp 4-5. وفيما يتعلق بالأودية الواقعة حول مدينة القدس، فتتكون من واديين هما، وادي جهنم ويعرف أيضا بوادي النار، ووادي قدرون، ووادي ستنا مريم، ووادي يهوشافاط. والذي يبدأ من الزاوية الجنوبية الشرقية لمنطقة المسجد، ويصب في البحر الميت، فاصلاً مدينة القدس عن جبل الطور، ويبلغ طوله (٢٦) كم، وادي الجوز الذي يمتد من الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة ويتجه جنوباً ليصب في البحر الميت بعد أن يلتقي بوادي جهنم، وهو يفصل جبل المشارف عن المدينة. انظر، محمد اليعقوب، ناحية القدس الشريف، ١/ ٦.

[١٠٢] Theoderich, op. cit., p.5.

وللمدينة سبع بوابات تغلق بإحكام عند الساعة السادسة مساءً وحتى شروق الشمس[١٠٣]ولم يذكر ثيودريك أسماء هذه الأبواب، وللتعرف على مزيد من المعلومات حول هذه الأبواب قارنا معلومات ثيودريك بما أورده الرحالة فيتلوس والرحالة المسلم الإدريسي الذي زار المدينة في ذات الفترة تقريبا التي زارها ثيودريك ورأينا أنهم قدموا لنا معلومات تشير إلى أن للمدينة أربعة أبواب مألوفة، هي الباب الغربي والشرقي والشمالي والجنوبي٠مما يجعلنا نستنتج بأن ثيودريك التبس عليه الأمر وخلط بين بوابات المدينة وبوابات المسجد الأقصى٠

وتغلق السابعة بجدار، وتفتح يوم أحد السعف. [١٠٤] ويراد بهذه البوابة "باب الرحمة" الذي يقع في الحائط الشرقي من الحرم القدسي الشريف، وهو أشهر البوابات المغلقة. وهنا تتفق أوصاف ثيودريك لهذه البوابة مع وصف الإدريسي والتي ذكرها بقوله: "وفي طرفها الشرقي باب يسمي باب الرحمة وهو مغلق لا يفتح إلا من عيد الزيتون لمثله. [١٠٥]

ويتابع ثيودريك أوصافه بقوله: والمدينة الآن ذات شكل مستطيل[١٠٦] ويمضي قائلا بأن شوارع المدينة كلها تقريباً مرصوفة بحجارة كبيرة، وغطي فوق العديد منها بحجارة مقنطرة ومثقوبة بنوافذ عديدة لتمرير الضوء، أما المنازل فهي مدعمة بأعمال حجرية ذات شكل رائع، وسقوف منبسطة[١٠٧] ومثل هذه الأوصاف لا نجدها لدى الرحالة السابقين.

وفي معرضه تناوله لبرج داود يقرر بأنه يقع قرب البوابة الغربية، وبالقرب من هذه البوابة يقع القصر الملكي. [١٠٨] وهذه أول إشارة في كتب الرحلات الأوروبية تشير إلى هذا القصر كبناء مستقل ومنفصل عن المسجد الأقصى.

كذلك قدم وصفاً مهماً لمستشفى القديس يوحنا، وقدر عدد الأسرة فيه بأنه يفوق الألف سرير[١٠٩] كما قدم ثيودريك عرضاَ مهماً للعمائر التي استحدثها الداوية في منطقة الحرم الشريف، ففي الساحة الخارجية لقبة الصخرة شيد الداوية بيوتاً وغرسوا لهم

---

(١٠٣) Theoderich, op. cit., p. 5.

(١٠٤) Theoderich, op. cit., p. 5.

(١٠٥) . انظر الإدريسي، نزهة المشتاق ١/ ٣٥٨،

(١٠٦) Theoderich, op. cit., p. 5.

(١٠٧) Ibid, op. cit., loc. cit.

(١٠٨) Ibid, op. cit., p. 6. ظل ملوك اللاتين يقيمون في المسجد الأقصى ويتخذونه مقراً رسمياً لهم قبل بناء القصر الملكي.

(١٠٩) Ibid, op. cit., loc. cit. والرحالة شاهد على تعاظم الدور الذي نهض به المستشفى في خدمة الكيان الصليبي.

الحدائق[١١٠] لقد أحدث اللاتين تغييرات مهمة في عمران مدينة بيت المقدس في فترة الاحتلال الصليبي ، والرحالة هنا شاهد عيان على ابرز ما أحدثوه من تغييرات في المسجد الأقصى وتمثل ذلك في بناء البيوت والحدائق وإلى هذه التغييرات أشار الإدريسي بقوله: "ويقابل الباب الشمالي بستان حسن مغروس بأنواع الأشجار..." [١١١].

كما تناول الكتابات التي قام الفرنجة بكتابتها على جدران قبة الصخرة. [١١٢] وهنا التفت الرحالة إلى النقوش والكتابات التي أضافها اللاتين لقبة الصخرة بهدف تغيير هويتها ومعالمها الإسلامية. بعد ذلك جاء على وصف المسجد الأقصى الذي يسميه "قصر سليمان" ويقرر بأنه ذو شكل مستطيل، وقد وضع بجميع ملاحقه بأيدي فرسان المعبد الذين سكنوا فيه، ولديهم فيه العديد من المستودعات للأسلحة والثياب والطعام. وقد أقام الفرسان مبنى جديداً في الجانب الآخر للقصر، كذلك بنوا مصلى جديداً إضافة للمصلى القديم الذي لديهم، وعلاوة على ذلك فإنهم يضعون أساسات لكنيسة ضخمة بالقرب من جانب الساحة الكبيرة[١١٣]

كذلك تحدث عن نواة تنظيم القديس لعازر St. Lazarus وأشار إلى نزل المبرصين الخاصة بالقديس المذكور بقوله: "من يقوم بجولة حول أسوار المدينة، يبدأ رحلته من عند برج داود، سوف يجد عند الحافة الغربية للمدينة الكنيسة وبعض المصابين بمرض الجذام.[١١٤]

وبخصوص العمائر التعليمية، فان الرحالة ثيودريك انفرد من بين الرحالة بالإشارة إلى وجود مدرسة في بيت المقدس في العصر الصليبي عرفت باسم "مدرسة القديسة مريم" وحدد موقعها بقوله: "يوجد منزلان صغيران فوق زاويتي الساحة الداخلية (لقبة الصخرة) حيث يقال أن المنزل الأول الذي يقع باتجاه الغرب كان مدرسة للعذراء المبجلة". [١١٥] وهي في حدود ما أعلم أول إشارة ترد في كتب الرحلات الأوروبية عن وجود مدرسة في بيت المقدس في العصر الصليبي، ويفهم من النص أنها كانت مدرسة دينية.

---

(١١٠) Ibid, op. cit., p. 24.

(١١١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٣٦٠/١

(١١٢) Theoderich, op, cit., pp. 26-27.

(١١٣) Theoderich, op, cit., p. 31. وقد أمر السلطان صلاح الدين حين فتح المدينة بتدمير هذه الكنيسة انظر، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٣٧.

(١١٤) Theoderich, op, cit., p.43. أما القديس لعازر فهو من قرية بيت عنيا، وبعد وفاته أحياه المسيح بقدرة الله انظر، يوحنا١١:١-١٦،٤٣-٤٤

(١١٥) Theoderich, op, cit., p.24.

وفي المجال الاقتصادي، حدثنا الرحالة ثيودريك عن النشاط الزراعي في بيت المقدس بقوله: "وفي أية بقعة بين الكتل الصخرية تبدو الأرض ملائمة لإنتاج جميع أنواع الفواكه، حيث أننا شاهدنا الجبال والتلال مغطاة بكروم العنب والمزروعة بأشجار الزيتون والتين وفي الوديان المحيطة بالقمح ومنتجات الحدائق[١١٦] وهذا الجانب سبق للرحالة دانيال أن تناوله.

وهناك جانب آخر يتعلق بالجانب الاقتصادي، فقد قدم لنا وصفاً لسوق المدينة، يوجد شارع مقنطر مليء بالبضائع المعدة للبيع على ناحية اليسار، ومقابل كنيسة القيامة ساحة السوق. [١١٧]

أما بخصوص الجوانب الاجتماعية، فقد اشتملت رحلته على جوانب هامة فيما يتصل بالخريطة المذهبية، فداخل كنيسة الضريح المقدس فرق: اللاتين، السريان، الأرمن، اليعاقبة، النوبيون، وكل طائفة تختلف عن الأخرى سواء باللغة أو أسلوب تأدية الشعائر الدينية. [١١٨] ويفصح هذا النص عن البنية السكانية غير المتجانسة لمدينة بيت المقدس، ومن الغريب أن يغفل الرحالة المسلم الإدريسي الإشارة إلى البنية السكانية غير المتجانسة لمدينة بيت المقدس، وهو الذي أدرك وتحدث عن طبيعة البنية السكانية غير المتجانسة لمدينة عكا الخاضعة للسيادة الصليبية، وقرر أن أهلها أخلاط وناس شتى[١١٩] وكان وصفه لها تعبير صادق عن وضعها الديموغرافي.

وهنا يلحظ الدارس أن الرحالة الأوروبي فورزبورغ واليهودي بنيامين والألماني ثيودريك كانوا أكثر فهما لقضية عدم تجانس المجتمع الصليبي، وتصارع عناصره على نحو ساعد على سقوطه.

وفي الجانب الاجتماعي انفرد الرحالة الألماني أيضا بإلقاء الضوء على جانب من أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية، إذ أكد أثناء مروره بمدينة نابلس في طريقه إلى بيت المقدس بأن المسلمين الذين يقطنون المدن والقرى يخضعون لجواز مرور من ملك بيت المقدس أو فرسان المعبد أو أعضاء المنظمات الدينية[١٢٠] هذه المعلومة على جانب كبير من الأهمية بالنظر إلى الحقائق المتعددة التي يمكن أن تستنتج منها.

---

(١١٦) Theoderich, op. cit., p. 3.

(١١٧) Ibid, op. cit., p. 22. وهو السوق الذي جاء على وصفه يوحنا فورزبورغ.

(١١٨) Theoderich, op. cit., p.14 . ولم تكن هذه البنية متماسكة وإنما تتازعتها عوامل الفرقة والضعف.

(١١٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٣٦٥/١

(١٢٠) Theoderich, op. cit., p.61.

فمن ناحية، حرصت المملكة الصليبية على أن تكون مدينة بيت المقدس مدينة لاتينية صرفة، لذلك لم يكن يسمح للمسلمين في بداية الاحتلال الصليبي بسكنى بيت المقدس، فلما استشعرت المملكة الصليبية حاجتها إلى السكان هجرت جماعات من نصارى شرق الأردن وأسكنتهم في بيت المقدس في أحياء خاصة[١٢١] وكان الملك بلدوين الأول ولحل مشكلة تزويد المدينة المقدسة بالمواد الغذائية قد أصدر مرسوما سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م بإعفاء التجار المسلمين من الضرائب المفروضة على الأطعمة[١٢٢] وسمح لهم بدخول المدينة، ولكن يفهم من نص ثيودريك استمرار المملكة بانتهاج سياسة منع المسلمين من سكنى بيت المقدس والسماح لهم فقط بدخول المدينة بموجب تصاريح خاصة، وقرر ثيودريك أن هذه التصاريح كانت تصدر من ملك بيت المقدس أو فرسان المعبد أو أعضاء المنظمات الدينية.

من ناحية أخرى، يرى الباحث أنه في الوقت الذي سعت فيه المملكة لتشجيع الأوروبيين على زيارة المملكة، إلا أنها في الوقت ذاته كانت تعرقل حركة المسلمين في الزيارة، فعلى الصعيد الداخلي تطلبت الزيارة الحصول على تصاريح مرور خاصة، أما من خارج المملكة فعلى الصعيد الرسمي كان العبور يتم وفق ترتيبات معينة، فحين وفد السهروردي على دمشق أيام نور الدين زنكي أبدى رغبته في زيارة بيت المقدس إلا أن تلك الزيارة لم تتم لانفساخ الهدنة بين المسلمين والفرنج[١٢٣] مما يعني أنه لو كانت هناك هدنة لتطلب ذلك الحصول على إذن بالزيارة. أما عامة المسلمين فكانوا يدخلون برفقة القوافل التجارية من نقاط عبور محددة بعد أن يتم تدقيق جوازات مرورهم ودفع ضرائب عبور محددة، وسجل الرحالة ابن جبير في ثنايا مذكراته بصدد الطريق من دمشق إلى عكا، أن الصليبيين كانوا يمسكون المسافرين من المغاربة دون جميع المسلمين بمكس إضافي عن المعتاد، مقدار دينار صوري على الشخص الواحد وأن أصل ذلك المكس أن فئات المغاربة اشتركت مع نور الدين فجزاهم الصليبيون من وقتئذ بتلك الضريبة الاستثنائية[١٢٤] وهذه المعلومة من جانب ابن جبير ألقت الضوء على دور المغاربة في المشاركة في حركة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين.

---

(١٢١) Albert d Aix, , op. cit., pp.644-645 .وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/٣١٧- ٣١٩

(١٢٢) فوشيه السارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص١٨٩، وانظر أيضا، نص المرسوم الملكي في Assises de Jerusalem, VoL11, Doc No 6. P. 485.

(١٢٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، ٣/ ٢٠٥

(١٢٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢١٠

وليم الصوري تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار:

وختاماً فإننا نفيد وبلا شك من الملاحظات والمعلومات التي دونها وليم الصوري مؤرخ المملكة الصليبية في كتابه" الأعمال المنجزة فيما وراء البحار"[١٢٥] وتعود أهمية تاريخه لكونه ولد في مدينة بيت المقدس فهو من أبناء المستوطنين الأوروبيين بعد الغزو الصليبي، ولمكانته لدى رؤوس السلطة، مما مكنه من الإطلاع من خلالهم على وثائق ومصادر لم يتمكن غيره من الإطلاع عليها، ولمعاصرته للأحداث، وقد أودع وليم الصوري في ثنايا كتابه معلومات في غاية الأهمية عن أوضاع مدينة بيت المقدس في العصر الصليبي، وترينا هذه المعلومات اتجاهاً ايجابياً نحو فهم البلاد فهماً شاملاً، وامتازت كتاباته عن سابقيه أنه وإدراكاً منه لأهمية بيت المقدس نجده يورد نبذة موجزة عن تاريخها تدعيماً لأهميتها ولدورها ولذلك فهو يمزج بين الرؤية التاريخية والرؤية الجغرافية.

وقد دون وليم الصوري معلومات متنوعة حول المدينة المقدسة في هذه الحقبة الزمنية، ففي الجانب الجغرافي، ذكر بان مدينة بيت المقدس تقع في بقعة عديمة المياه والينابيع والغابات والمراعي[١٢٦] وهي أصغر من المدن الكبرى وإن كانت أكبر من أي مدينة عادية، وهي ذات شكل رباعي بعض الشيء وإن كان أكثر ميلا إلى الاستطالة إذ أن أحد أضلاعها أطول من بقية أضلاعها الأخرى[١٢٧]، وترينا هذه المعلومة دقة المؤرخ وليم الصوري إذ سبق للرحالة دانيال الراهب أن ذكر بأنها مدينة مربعة الشكل، بينما وصفها ثيودريك بأنها مستطيلة الشكل، وجاءت معلومة وليم الصوري لترسم صورة دقيقة لشكل المدينة وهذه الدقة نابعة من المشاهدة والمعاينة والاختبار الشخصي على نحو عكس مدى معرفته بالمدينة المقدسة.

---

[١٢٥] وليم الصوري، William of Tyre ولد في مدينة بيت المقدس حوالي ١١٣٠م/ ٥٢٤هـ، وأمضى فترة شبابه في فلسطين، وقد سافر إلى أوروبا قبل عام ١١٦٣م لمتابعة دراساته هناك. وحين عاد إلى المملكة اشغل وظيفة المستشار الملكي في عهد الملك عموري. كما أصبح رئيساً لأساقفة صور من عام ١١٧٥-١١٨٤، وكان يطمح بالوصول إلى منصب بطريرك بيت المقدس، إلا أن طموحاته لم تتحقق، وقد ألف كتابه " *Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum* وقد ترجم إلى الإنجليزية على يد بابكوك وكراي عام ١٩٤٣ *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, New York, 1943 . انظر، مقدمة كتاب وليم الصوري، ج١، ص١٠- ٢٥

[١٢٦] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ٨٤

[١٢٧] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ٨٤

ويتابع وليم الصوري أوصافه للمدينة بقوله: وتحدها من جوانبها الثلاث وديان عميقة ويقع شرقيها وادي يهوشافاط، كما يشق هذا الوادي جدول قدرون الذي يفيض شتاءً بمياه الأمطار المنهمرة. [١٢٨] ويتصل بهذا الوادي من الناحية الجنوبية رافد أخر اسمه "هانوم"[١٢٩]. ويحد بيت المقدس من الغرب الوادي نفسه الذي كانت فيه بركة قديمة... ويمتد الوادي من هنا إلى البحيرة العليا المسماة عادة بحيرة البطرك [١٣٠] المجاورة للمقبرة العتيقة في جب الأسد[١٣١].

تقع بيت المقدس على جبلين؛ وتقع قمتا هذين الجبلين داخل نطاق الأسوار ويفصلهما عن بعض وادٍ صغيرٌ يقسم المدينة إلى قسمين، ويسمى الجبل الواقع إلى الغرب بجبل صهيون، أما الجبل الآخر الواقع إلى الشرق فيعرف بجبل موريا. [١٣٢]

وفي الجانب المعماري، حدثنا وليم الصوري عن المسجد الأقصى بقوله: يطل هيكل السيد على المنحدرات الشرقية والغربية لجبل موريا، أما صفة البناء فهو كالآتي: توجد ساحة مربعة متساوية الأضلاع، يحوطها سور متوسط الارتفاع، وتقع هذه الساحة على هضبة يقدر كل من طولها وعرضها بمساحة رمية سهم، ولها من الناحية الغربية بابان يؤديان إلى داخلها، ويعرف أحدهما بالباب الجميل[١٣٣] أما الباب الآخر فقد نسينا اسمه. كما يوجد باب واحد في السور الشمالي، وآخر في الناحية الشرقية[١٣٤].

أما القصر الملكي المعروف الآن باسم هيكل سليمان (المسجد الأقصى) فيقوم في الناحية الجنوبية، كما توجد مآذن شاهقة الارتفاع يصعد إليها مؤذنو الإسلام في ساعات محددة لدعوة الناس إلى الصلاة، وهذه المآذن تعلو كل باب من الأبواب المؤدية إلى المدينة، وكانت تقوم في كل ركن من أركان الساحة المربعة، وهذه المآذن لا يزال بعضها قائما حتى اليوم، أما غيرها فقد زال بسبب شتى المصائب التي نزلت بها. ولم يكن مسموحاً لأحد من

---

[١٢٨] المصدر السابق، ٢/ ٨٤ أما جدول قدرون فأشار إليه بورشارد في سياق حديثه عن كنيسة العذراء المبجلة بقوله:هذه الكنيسة رطبة لأن وادي قدرون يجري من تحتها انظر، بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص١٣٥

[١٢٩] وادي هانوم:التسمية التي أطلقها اليهود على وادي قدرون انظر، لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ص١٩٠-١٩٢

[١٣٠] بحيرة البطرك، ويراد بها بركة حزقيا الواقعة بين سويقة علون وحارة النصارى،على بعد (٢٠٠) متر من القلعة إلى الشمال الشرقي انظر، عارف العارف، تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ص١٧٧

[١٣١] المصدر السابق، ٢/ ٨٥ وجب الأسد لم نتمكن من تحديد موقعها

[١٣٢] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ٨٦

[١٣٣] المصدر السابق، ٢/ ٨٧-٨٨.

[١٣٤] المصدر السابق، ٢/ ٨٧-٨٨.

الناس أن يعيش في داخل هذه المواضع بل لم يكن أحد ما بقادر على الدخول هناك إلا وهو حافي القدمين قد غسلهما قبل قليل[١٣٥]، ويقف على كل باب حارس مهمته مراعاة هذا الأمر مراعاة دقيقة. إن دراسة وتحليل نصوص فورزبورغ ووليم الصوري بعناية وتدقيق تظهر قيام الصليبيين بتخصيص جزء من المسجد الأقصى لتمكين المسلمين من أداء الصلاة فيه.

ويتابع وليم الصوري أوصافه بقوله: وكان في وسط تلك البقعة المجاورة ساحة أخرى ترتفع عن هذه بعض الشيء، وصورتها اقرب ما تكون إلى المربع المتساوي الأضلاع، ويوجد إلى الغرب والجنوب سلمان مدرجان يصعدان إلى الساحة[١٣٦].

أما من الناحية الشرقية فثمة مدخل واحد فقط، ويوجد في كل ركن من هذه الساحة مسجد صغير ولا يزال بعض هذه المساجد قائماً حتى اليوم أما ما سواها فقد هدمت لتفسح المجال لأبنية مستحدثة حلت محلها،[١٣٧] وفي هذه الرواية ما يشير إلى ما لحق بالمدينة من تدمير على أيدي هؤلاء الغزاة.

وفي وسط هذه الساحة العليا يقوم المسجد وهو مثمن الشكل متساوي الأضلاع، كما أن جدران المسجد الداخلية والخارجية على السواء مرخمة ومحلاة بالفسيفساء، أما السقف فدائري مكسو بالرصاص الدقيق الصنعة، وقد رصفت الساحتان العليا والسفلى ومدرجاتهما بالرخام الأبيض، ومن ثم فان الأمطار التي تسقط بغزارة في الشتاء وما ينحدر من المسجد ذاته وكذلك المياه التي تتدفق من جهات أخرى نقية صافية فإنها تنساب كلها إلى الصهاريج الكبيرة الواقعة داخل هذه الناحية. [١٣٨] ويوجد في وسط المسجد (قبة الصخرة) وفي نطاق الصف الداخلي من الأعمدة – صخرة ليست شاهقة الارتفاع ولكنها تعلو كهفاً... والحق أن هذا المكان ظل خمسة عشر عاماً قبل مجيء اللاتين وبعدهم مجرداً من كل ما يغطيه، حتى رخمه أخيراً بالرخام الأبيض من استولوا عليه كما بني أعلاه مذبح وهيكل لجوقة المرتلين، وعين قسيس لأداء الخدمات الدينية. [١٣٩]

---

[١٣٥] المصدر السابق، ٢/ ٨٧–٨٩.

[١٣٦] المصدر السابق، ٢/ ٨٩.

[١٣٧] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ٨٩.

[١٣٨] المصدر السابق، ٢/ ٩٠.

[١٣٩] المصدر السابق، ٢/ ٩٠ وأشارت المصادر الإسلامية إلى هذه التغييرات التي أحدثها اللاتين في قبة الصخرة بالقول، "وكان الفرنج قد بنو على الصخرة المقدسة كنيسة، وستروها بالأبنية وغيروا أوضاعها، وملئوها بالصور، وندبوا في ترخيمها أشباه الخنازير، ونصبوا عليها مذبحاً وعينوا بها مواضع للرهبان، ومحط الإنجيل، وافردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة بأعمدة الرخام فأمر السلطان بمحو تلك الآثار كلها وأزال

كما جاء وليم الصوري في كتابه على وصف حارة النصارى في القدس، وبحسب قوله فإن تأسيس هذه الحارة كان في سنة ١٠٦٣م/ ٤٥٥هـ في زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله(١٠٣٥ – ١٠٨٤م/ ٤٢٧ – ٤٤٧هـ) [١٤٠] حيث حصل النصارى على مرسوم ممهور بإمضاء الخليفة وخاتمه لبناء الحارة. وجاء في أوصافه لهذه الحارة بأن حدها الخارجي كان يتألف من السور الذي يمتد من الباب الغربي – أو باب داود – ماراً بالبرج الكائن في الزاوية والمسمى ببرج تانكرد حتى يصل إلى الباب الشمالي المسمى بباب أسطفان، أما حدها الداخلي فهو الشارع العام الذي يمتد من باب أسطفان حتى يصل إلى الموضع الذي يجلس فيه الصيارفة إلى موائدهم ثم يرتد إلى الوراء ثانية إلى الباب الغربي، ويقع داخل هذين الحدين طريق الآلام، وكنيسة القيامة، والبيمارستان، كما يوجد أيضاً ديران احدهما للرهبان وثانيهما للنسوة الطاهرات ويعرفان بديري اللاتين. كما يقع سكن البطرك[١٤١] البطرك[١٤١] ودير حماة القبر المقدس وملحقاته داخل هذه النواحي. [١٤٢]كما جاء على ذكر بعض شوارع مدينة بيت المقدس في الحقبة الصليبية ومنها الشارع المسمى بشارع الفرائين [١٤٣].

صفوة القول، تعرضت هوية المدينة المقدسة للطمس حتى أصبحت مدينة فرنجية تلبي حاجات سكانها الجدد من الفرنجة، إضافة لكونها أصبحت عاصمة للمملكة الصليبية. وهذا بعض ما سجلته كتب الرحلات الأوروبية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عن التغيرات التي تعرضت لها مدينة بيت المقدس من قبل الفرنج على المستويات

عن الصخرة تلك الأبنية، فأبرزها للعيون... وتقدم بعض ملوكها بستر الصخرة إشفاقا عليها من القطع. انظر، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٤١، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٢٩.

[١٤٠] المستنصر بالله ، هو ابن الظاهر لإعزاز دين الله ، تولى الخلافة وهو طفل لم يتجاوز السبع سنوات وامتد حكمه ستين عاما (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ – ١٠٩٤ م) أيمن فؤاد السيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص١٢٥.

[١٤١] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ١٧٩ حددت المصادر الأوروبية موقع هذه الدار بأنه بالقرب من كنيسة القبر المقدس. انظر، ريموند أجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٢٥٨ أما مجير الدين الحنبلي فقد حدد موقعها بأنها قرب كنيسة قمامة وبعضها – راكب على ظهر قمامة، وبعد فتح صلاح الدين للمدينة جعلت هذه الدار رباطاً للفقراء انظر، مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣، ١/ ٣٤١ وانظر كذلك، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٤٥. ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٣٠.

[١٤٢] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٢/ ١٧٩

[١٤٣] المصدر السابق، ٣/ ١٢٢وقد جاء وليم على ذكره من غير أن يحدد موقعه

السياسية، والإدارية، والسكانية، والثقافية، والدينية، والاجتماعية، والعمرانية، والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة نوجزها على النحو الآتي :

-بداية نشطت الرحلة إلى بيت المقدس وتوسعت مجالاتها في القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي بشكل لم يسبق له مثيل، فأتت مجموعة كبيرة من الرحالة الغربيين خلال هذه الفترة ودوَّن هؤلاء ملاحظات في غاية الأهمية عن الأوضاع التي شهدتها مدينة بيت المقدس خلال فترة الاحتلال الصليبي في النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والعمرانية .

-قدمت كتب الرحلات الأوروبية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تفاصيل دقيقة جداً عن الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين ، ويلاحظ أن هناك تركيزاً خاصاً على وصف الأماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس و ما يجاورها.

-قدمت كتب الرحلات الأوروبية معلومات في غاية الأهمية عن مصادر المياه في بيت المقدس، فقد أدرك الصليبيون منذ وطأت أقدامهم فلسطين أهمية عنصر المياه لكونه أساس الحياة وعصب النشاط الاقتصادي، ونجد كتابات هؤلاء تمثل رؤيتهم لمصادر المياه على نحو يعكس إدراكهم لدورها الحيوي و بالتالي ضرورة السيطرة عليها .

-رصدت كتب الرحلات الأوروبية ظهور العديد من المؤسسات الصليبية في بيت المقدس ممثلة في مستشفى القديس يوحنا الذي تطور ليصبح فيما بعد هيئة فرسان الاسبتارية ، وهيئة الفرسان الداوية، وبيت المجذومين، والبيت الألمـــــاني و الذي أصبح فيما بعد هيئة فرسان التيوتون، وهي أول إشارة ترد عنها في كتب الرحلات الأوروبية من القرن الثاني عشر .

-قدمت كتب الرحلات الأوروبية صورة واضحة عن الجانب العمراني للمدينة المقدسة في العصر الصليبي ، وكان الألماني ثيودريك شاهدا على التوسع العمراني للمدينة، وقدم لنا وصفاً للعمائر التي أحدثها الداوية في الحرم القدسي الشريف حيث شيدوا البيوت و الكنائس وغرسوا الحدائق ، و جاءت رواية الرحالة المسلم الإدريسي (٥٦٠ هـ / ١١٦٤م) لتؤكد على ما أحدثه هؤلاء من عمائر في المسجد الأقصى المبارك .

-كشفت كتب الرحلات الأوروبية عن عناية المملكة الصليبية بالتحصينات العسكرية ، فقد تحولت مدينة بيت المقدس إلى مدينة شديدة التحصين ، فحين زارها الرحالة دانيال الراهب وجدها مدينة واسعة تحميها أربعة أسوار قوية بعد أن كانت مهدمة في عهد غودفري في بداية السيطرة الصليبية كما قرر ذلك مؤرخ المملكة وليم الصوري و حين زارها الرحالة بنيامين

والرحالة ثيودريك كانت في غاية التحصين وفي تركيزهم على هذا الجانب ما يشير إلى فقدانهم الشعور بالأمن والطمأنينة .

-تناولت كتب الرحلات الأوروبية البنية السكانية غير المتجانسة في بيت المقدس وصور الرحالة فورزبورغ ما ساد بين الفرنجة من تنافر وتباغض وحسد وانفرد بتصوير جانب من أوضاع المسلمين تحت السيطرة الصليبية، واظهر معاناتهم النفسية حين تحدث عن الصليب المثبت فوق الصخرة وأن العديد منهم مستعد لدفع الذهب لأزالته عن مكانه.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأجنبية:

- **Albert d'Aix**, *Historia Hierosolmitana*, in: R.H.C.H.occ, tome IV, Paris 1879.
- **Arculf**, The Travels of Bishop Arculf in the Holy land, in: Early Travels in Palestine, New York 1969.
- **Benjamin of Tudela**, The Travels of Rabbi Benjamin of Tudela, in: Early Travels in Palestine, New York 1969.
- **Daniel** Russian Abbot, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land, in: P .P. T. S., vol IV, London 1895.
- **Fetellus**, Jerusalem and the Holy Places, in: P. P. T. S., VoL V, London 1896.
- **John of Wurzburg**, Description of the Holy Land, in: P. P. T. S., VoL V, London 1896.
- ***Les Archives de L'Orient Latin***, 2 vols, Paris 1881 – 1884.
- ***Les Assises de Jérusalem***, 2 vols, Paris 1841 – 1843.
- **Seawulf**, The Pilgrimage of Seawulf's to Jerusalem and the Holy land in: P.P. T. S., vol IV, London 1896.
- **Theoderich**, Description of the Holy Places, in: P. P. T. S., VoL V, London 1896.

ثانيا: المصادر المعربة:

- **أوردريك فيتالس**، التاريخ الكنسي، ترجمة سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٨.
- **بنيامين بن يونة التطيلي**، رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥.
- **بتاحيا الراتسبوني**، رحلة الرّبي بتاحيا الراتسبوني (٥٧١- ٥٧٦هـ/ ١١٧٥- ١١٨٠م)، ترجمة ودراسة وتحقيق فؤاد عبد الرحيم الدويكات، دار الكتاب الثقافي، أربد، ٢٠١٠
- **ريموند أجيل**، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٩.
- **فوشيه الشارتري**، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠.
- **وليم الصوري**، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ج ١-٤، ١٩٩١ – ١٩٩٥.

ثالثا: المصادر العربية:

- **ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ (١٢ جزء).
- **الإدريسي**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩(٢ جزء).

- **الأصفهاني**، العماد الكاتب أبو عبد الله محمد بن صفى الدين، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة، ٢٠٠٣.
- **ابن جبير**، أبو الحسين محمد بن احمد الكناني الأندلسي: تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار "المعروف برحلة ابن جبير" دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت.
- **الحنبلي**، مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، دار المحتسب، عمان، ١٩٧٣.
- **ابن خلكان**، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤
- **ابن شداد**، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، "المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي، تحقيق احمد أيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣.
- **العمري**، ابن فضل الله، احمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"دولة المماليك الأولى" تحقيق دوروتيا كرفولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦
- **القزويني**، زكريا بن محمد بن محمود: أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت.
- **ابن القلانسي**، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد: تاريخ أبي يعلي حمزة ابن القلانسي "المعروف بذيل تاريخ دمشق"، تحقيق امدروز، أعادت نشره مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت.
- **المقدسي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع هوامشه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧
- **ناصر خسرو**، أبو معين الدين القباديانى المروزي: سفرنامه "المعروف باسم رحلة ناصر خسرو" ترجمة احمد خالد، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٣.
- **الهروي**، أبو الحسن علي بن أبي بكر: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- **ابن واصل**، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، (ج٢) القاهرة، ١٩٥٧.
- **ياقوت الحموي**، معجم البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، د٠ت

رابعا: المراجع الأجنبية المعربة:

- **جان سوفاجيه، كلود كاهن**: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب كلوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.
- **لي سترانج**، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمايره، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٠

- يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس الصليبية، ترجمة عبد الحافظ البنا، القاهرة، ١٩٩٩ .

خامسا: المراجع العربية:

- **أيمن فؤاد السيد**، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٩٢م
- **جوزيف نسيم**، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الإسكندرية، ١٩٦٧
- **سعيد البيشاوي**، المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م١٥، نابلس،٢٠٠٠
------- الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩
- **شفيق جاسر**، القدس تحت الحكم الصليبي، القاهرة، ١٩٨٩.
- **عارف العارف**، تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة٠
- **محمد أبو المحاسن عصفور**، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨٤.
- **محمد احمد يعقوب**، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، ١٩٩٠.
- **محمد سلامة النحال**، فلسطين ارض وتاريخ، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٤.
- **محمد عيسى صالحيه**، القدس في صدر الإسلام ١٦-١٣٢هـ/ ٦٣٧-٧٥٠م ضمن كتاب القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠١.
- **محمد غوشه**، بوابات القدس، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٢.
- **محمد مؤنس عوض**، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت القدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢.
----------الحروب الصليبية، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، دار الشروق، رام الله، ٢٠٠٤.
----------فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ١٩٩٦.
----------الحروب الصليبية: دراسات تاريخية نقدية، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩.
----------الحروب الصليبية، السياسة، المياه، العقيدة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠١
- **مصطفى الحياري**، جند فلسطين، ملاحظات حول حدوده وتقسيماته الإدارية، ضمن كتاب أوراق في التاريخ والأدب، تحرير علي ذو الفقار، لندن، ١٩٩٢
- **نقولا زيادة**، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، هدية مجلة المقتطف، القدس، ١٩٤٣.